تفسير سورة سبأ

قال الله تعالى:

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾) [سبأ: ١-٦].

MostafaBadr.com

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَلِجُ - يَعْرُجُ - لَا يَعْزُبُ - مِثْقَالُ - سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا - مُعَٰجِزِينَ - رِّجْزٍ - أَلِيمٌ - صِرَٰطِ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
(يَلِجُ)	يدخل ويغيب
(يَعْرُجُ)	يصعد
(لَايَعْزُبُ)	لا يغيب
(مِثْقَالُ)	وزن
(سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا)	اجتهدوا لإبطال حججنا وآياتنا
(مُعَٰجِزِينَ)	مُغالبين - يظنون أنهم يعجزوننا ولا نستطيع الإتيان بهم
(رِّجْزٍ)	الرجز - أسوأ العذاب - العذاب السيئ
(أَلِيمٌ)	مؤلم موجع
(صِرَٰطِ)	طريق

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾؟

ج: المعنى - والله أعلم - الحمد الكامل لله ﷻ، فله الحمد كله وله

MOSTAFAADAWY.COM

الشكر كله إذ له ما في السموات وما في الأرض لا شريك له في ملكه ولا منازع له في أمره، فله الحمد على ذلك فلا ننزل حاجاتنا إلا به ﷻ ولا يكشف الكروب إلا هو ولا يأتي بالخير إلا هو سبحانه وتعالى، وكذا، وكما أن له الحمد الكامل في الدنيا، فله الحمد أيضًا في الآخرة كما يقول أهل الإيمان ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، وكما يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ...﴾ [فاطر: ٣٤].

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سبأ: ١] يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السماوات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصًا دون ما سواه في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ حكيم في أمره، خبيرٌ بخلقه.

وقال ابن كثير رحمه الله:

MOSTAFALIBRARY.COM

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة: أن له الحمدَ المطلق في الدنيا والآخرة؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك، الحاكم في جميع ذلك، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص: ٧٠]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه، كما قال: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل: ١٣].

ثم قال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، فهو المعبود أبدًا، المحمود على طول المدى. وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قيل: هو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر ٧٤] وقيل: هو قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ١٠] فهو المحمود في الآخرة كما أنه المحمود في الدنيا وهو المالك للآخرة كما أنه المالك للأولى ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ بأمر خلقه.

❁ ❁ ❁

س: اذكر بعض ما يستوجب الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

ج: هو نفسه سبحانه وتعالى محمود على كل حال، وكل النعم التي نحن فيها إنما هي من الله عَزَّوَجَلَّ.

Mostafa Adly.com

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

وكما قال: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨].

ومن نعمه علينا إنزاله القرآن على نبينا محمد ﷺ وهدايتنا للإسلام.

ومما يستوجب الحمد كونه مالك أمر السموات والأرض فهي ملك له فلا نلتجئ لغيره ولا نرجو سواه فهو المعطي الوهاب فلا تتشعب بنا السبل، ولا تتفرق بنا الطرق، فكل ما نريده نسأله ربنا سبحانه.

وكذا فهو المحمود في الآخرة، فالأمر هناك أمره، والملك ملكه، ولا منازع ينازع، ولا شريك يعارض، وهو الرحمن الرحيم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن الله ﷻ يعلم كل شيء، ومن علمه أنه يعلم ما يدخل في الأرض ويغيب فيها من بذور وأموات وغير ذلك، وكذا يعلم ما يخرج منها من نبات وكنوز وبراكين ودواب وغير ذلك، وكذا يعلم ما ينزل من السماء من قطرٍ (غيث)، ومن ملك ومن أمرٍ ومن نهي، وغير ذلك.

وأيضًا يعلم ما يعرج في السماء وما يصعد فيها من عمل ومن قول وأرواحٍ وغير ذلك.

وهو الرحيم بعباده الغفور لهم.

Mostafa Alwy.com

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء. من قولهم: ولجت في كذا: إذا دخلت فيه، كما قال الشاعر:

رأيت القوافي يتلجن موالجا تضايق عنها أن تولجها الإبر

يعني بقوله: «يتلجن موالجا»: يدخلن مداخل ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يقول: وما يخرج من الأرض ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يعني: وما يصعد في السماء، وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن، وهو الرحيم الغفور، وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال مالك عن الزهري: خبير بخلقه، حكيم بأمره؛ ولهذا قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك: عدده وكيفيته وصفاته، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من قطر ورزق، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ أي: من الأعمال الصالحة وغير ذلك، ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ أي: الرحيم بعباده فلا يعاجل عُصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ما يدخل فيها من قطر وغيره كما قال: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ من الكنوز والدفائن والأموات وماهي له

كفات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والمقادير والبركات وقرأ علي بن أبي طالب «وما ننزل» بالنون والتشديد ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَآ﴾ من الملائكة وأعمال العباد قاله الحسن وغيره ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: أمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يُقسم بربِّه على أن الساعة ستأتي، وذلك في ثلاث مواطن من الكتاب العزيز. بيِّنها.

ج: أجاب على ذلك الحافظ ابن كثير إذ قال:

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لَمَّا أنكره مَنْ أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس:٥٣]، والثانية هذه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، والثالثة في التغابن: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن:٧]، فقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن

nostrapdf.com

ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أن أهل الكفر قالوا منكرين البعث، ومكذبين رسول الله ﷺ قالوا: لا تأتينا الساعة، أي ليس هناك بعث، ولا ثواب ولا عقاب، فأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يُقسم لهم بربِّه على وقوعها، إذ الله قال: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾، وأما عن موعد وقوعها فلا يعلمه إلا هو، فهو سبحانه لا يغيب عنه ولا يخفى وزن ذرةٍ من أي شيء كان في السموات أو في الأرض، ولا أصغر من وزن الذرة ولا أكبر والله محيط به علمًا، ثم هو مثبت في كتاب موضح مظهر للأشياء لا يعلمه إلا هو.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة؛ استهزاء بوعدك إياهم وتكذيبًا لخبرك، قل لهم: بلى تأتيكم وربي، قسمًا به لتأتينكم الساعة، ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه، وتمجيدها فقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾.

ويعني جل ثناؤه بقوله: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ﴾ لا يغيب عنه ولكنه ظاهر له.

وقوله: ﴿مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ يعني: زنة ذرة في السماوات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره: لا يغيب عنه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها، أين كان في السماوات ولا في الأرض ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة ﴿وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ منه ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾﴾ يقول: هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يعزب

mostafaabw.com

عن علمه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال مجاهد وقتادة: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ﴾ لا يغيب عنه، أي: الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت، فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

ج: الآيتان - والله تعالى أعلم - مرتبطتان في معنيهما بالآية التي تقدمتهما فالمعنى أن الساعة ستأتي، ليجزي الله ﷻ المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته، فالذين صدقوا المرسلين، وآمنوا بما أنزل الله على رسله وأتبعوا ذلك وصاحبوه بصالح الأعمال لهم مغفرةٌ لذنوبهم ورزق كريم جزاء صالح أعمالهم، وهذا الرزق الكريم هو الجنة.

وأما الذين اجتهدوا للصد عن سبيل الله ولإبطال الآيات والحجج يظنون أنهم سيفوتوننا ويهربون منا ونعجز عنهم فأولئك لهم عذاب شديد مؤلم موجع من أسوأ العذاب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب المبين كي يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ يقول: وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ في الجنة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

MOSTAFALABIB.COM

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب ليجزي المؤمنين ما وصف وليجزي الذين سعوا في آياتنا معاجزين، يقول: وكي يثيب الذين عملوا في إبطال أدلتنا وحججنا معاونين يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ يقول: هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم، ويعني بالأليم: الموجع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة، قوله: ﴿سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: لا يعجزون ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾ قال: الرجز: سوء العذاب، الأليم: الموجع.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ قال: جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها، قال: وهم المشركون، وقرأ ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله، ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾ أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين، كما قال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص:٢٨].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي في إبطال أدلتنا والتكذيب بآياتنا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا وأن الله لا يقدر على بعثهم في الآخرة وظنوا أنا نهملهم فهؤلاء ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ ٥﴾.

❁ ❁ ❁

س: قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ﴾ ما معناها؟

ج: الظاهر أن معناها هنا: ويعلم، ويوقن.

❁ ❁ ❁

س: من الذين أوتوا العلم الذين عناهم الله بقوله: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ... ﴾؟

ج: لأهل العلم أقوال هاهنا:

أحدهما: أنهم أهل الكتاب الذين آمنوا وأسلموا كعبد الله بن سلام وغيره.

الثاني: أنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

الثالث: أنهم عموم من آتاهم الله علمًا بكتابه وبسنة رسوله ﷺ.

❁ ❁ ❁

س: وضح وجه الواو في قوله: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ... ﴾.

ج: في ذلك وجوه للعلماء:

MOSTAFAALABWY.COM

أحدها: أن قوله: ﴿وَيَرَى﴾ معطوف على ﴿لِيَجْزِيَ﴾ فالمعنى - والله أعلم - قل: بلى وربي لتأتينكم الساعة ليجزي الذي آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط.

... وليعلم الذين أوتوا العلم أن القرآن حقٌّ بما فيه من وعد ووعيد وثواب وعقاب..

الثاني: أنها للمقابلة، والمعنى، وكما أن أهل الكفر ينكرون البعث ويقولون لا تأتينا الساعة، ففي مقابلهم أهل العلم يعلمون أن الساعة حق.

وستقوم الساعة حتى يتأكد لهم ما أُخبروا به.

الثالث: أن الذين أوتوا العلم في الدنيا يعلمون - وقبل مجيء الساعة - أن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، فهذا ثناءٌ عليهم.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم، وليرى الذين أوتوا العلم، فيرى في موضع نصب عطفًا به على قوله: يجزي في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وعنى بالذين أوتوا العلم مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان، فقال تعالى ذكره: وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق.

وقيل: عنى بالذين أوتوا العلم: أصحاب رسول الله ﷺ.

MOSTAFALABIB.COM

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ ﴾ قال: أصحاب محمد.

وقوله: ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ يقول: ويرشد من اتبعه وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه، فأياديه عندهم ونعمه لديهم. وإنما يعني أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ ﴾. هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها، وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذٍ عين اليقين، ويقولون يومئذٍ أيضًا: ﴿لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ويقال أيضًا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٥٢﴾ [يس:٥٢]، ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الروم:٥٦]، ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾. العزيز هو: المنيع الجناب، الذي لا يُغالب ولا يُمانع، بل قد قهر كل شيء، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه، وقدره، وهو المحمود في ذلك كله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر الذين سعوا في إبطال النبوة بين أن الذين أوتو العلم يرون القرآن حق قال مقاتل: الذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب وقال ابن عباس:

Nostarabooks.com

هم أصحاب محمد ﷺ وقيل جميع المسلمين وهو أصح لعمومه والرؤية بمعنى العلم وهو في موضع نصب عطفًا على ليجزي أي ليجزي وليرى قاله الزجاج والفراء وفيه نظر؛ لأن قوله: ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾ متعلق بقوله: لتأتينكم الساعة ولا يقال: لتأتينكم الساعة ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق فإنهم يرون القرآن حقًّا وإن لم تأتيهم الساعة والصحيح أنه رفع على الاستئناف ذكره القشيري.

قلت: وإذا كان ليجزي متعلقًا بمعنى أثبت ذلك في كتاب مبين فيحسن عطف ويرى عليه أي وأثبت أيضًا ليرى الذين أوتوا العلم أن القرآن حق ويجوز أن يكون مستأنفًا.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ أي يهدي القرآن إلى طريق الإسلام الذي هو دين الله ودل بقوله: ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ على أنه لا يغالب وبقوله: ﴿ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ على أنه لايليق به صفة العجز.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAADW.COM

قال الله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ ٧ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٩ ﴾ [سبأ: ٧-٩].

MOSTAFAALABD.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿نَدُلُّكُمْ - مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ - خَلْقٍ جَدِيدٍ - جِنَّةٌ - كِسَفًا - مُّنِيبٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(نَدُلُّكُمْ)	نُخبركم
(مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ)	مُتم وتفرقت أجسادكم بعد مصيركم ترابًا
(خَلْقٍ جَدِيدٍ)	أحياء بعد الموت
(جِنَّةٌ)	جنون
(كِسَفًا)	قطعًا من السماء
(مُّنِيبٍ)	رجَّاع - تواب

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾.

ج: حاصل القول في الآيات الكريمة، أن أهل الكفر قال بعضهم لبعض على سبيل السخرية والاستهزاء برسول الله ﷺ، واستبعاد وقوع يوم القيامة قالوا لبعضهم: هل ندلكم على رجلٍ غريب القول والشأن يخبركم أنكم إذا متم وصرتم ترابًا وتفرقت أجسادكم في كل مكان أنكم ستبعثون خلقًا جديدًا؟ أهذا شخص متقولٌ على الله أم أنه مجنون؟! فلا يخلو شأنه من أمرين إما أن

MOSTAFALAWY.COM

يكون كذابًا على الله أو أنه مجنون.

فـدافع الله ﷻ عـن نبيـه ﷺ بقولـه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾، أي أن هذا الرسول الكريم ليس بكذاب على الله، وليس بمجنون بل أهل الكفر متمادون في كفرهم وتكذيبهم وسيؤول ذلك بهم إلى العذاب، فضلًا عما هم فيه من البعد الواضح عن الحق، والانحراف عنه.

وبنحو ذلك قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد ﷺ متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ يقول: يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الأرض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتًا، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقًا جديدًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ إذا أكلتكم الأرض وصرتم رفاتًا وعظامًا وقطعتكم السباع والطير ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ ستحيون وتبعثون.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ...﴾ إلى ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ قال: يقول: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ وإذا بليتم وكنتم عظامًا وترابًا ورفاتًا، ذلك ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ قال: (ينبئكم إنكم) فكسر إن ولم يعمل ينبئكم فيها ولكن ابتدأ بها ابتداء، لأن النبأ خبر وقول، فالكسر في إن

لمعنى الحكاية في قوله: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ دون لفظه، كأنه قيل: يقول لكم: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله ﷺ في وعده إياهم ذلك: أفترى هذا الذي يعدنا أنَّا بعد أن نمزق كل ممزق في خلق جديد على الله كذبًا؛ فتخلق عليه بذلك باطلًا من القول وتخرص عليه قول الزور ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ يقول: أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قالوا تكذيبًا ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ وإما أن يكون مجنونًا ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ...﴾ الآية.

قال الطبري:

وقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد ﷺ وظنوا به من أنه افترى على الله كذبًا، أو أن به جنة، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيامَ الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل

ممزق: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أي: بعد هذا الحال ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ أي: تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك، وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لُبّس عليه كما يُلَبَّس على المعتوه والمجنون؛ ولهذا قالوا: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾؟ قال الله تعالى رادًّا عليهم: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء، ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله، ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ من الحق في الدنيا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لما دخل ألف الاستفهام استغنيت عن ألف الوصل فحذفتها وكان فتح ألف الاستفهام فرقًا بينها وبين ألف الوصل وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٨] مستوفى ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ هذا مردود على ما تقدم من قول المشركين، والمعنى: قال المشركون أفترى على الله كذبًا؟ والافتراء الاختراق أم به جنة؟ أي جنون فهو يتكلم بما لا يدري ثم رد عليهم فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨﴾ أي: ليس الأمر كما قالوا بل هو أصدق الصادقين ومن ينكر البعث فهو غدا في العذاب واليوم في الضلال عن الصواب إذا صاروا إلى تعجيز الإله ونسبة الافتراء إلى من أيده الله بالمعجزات.

❁ ❁ ❁

س: يدافع الله ﷻ عن أنبيائه وأوليائه. اذكر بعض الأدلة على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى ردًّا على أهل الشرك إذ وصفوا رسول الله ﷺ بالافتراء أو الجنون ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾﴾ [القلم: ١-٢].

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾...﴾ [الطور: ٢٩].

إلى غير ذلك، وقد قدمنا سائر الأدلة في مواطنها بحمد الله.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: أفلم ير هؤلاء المكذبون لرسلنا، المنكرون للبعث والحساب، أفلم يروا أنهم حيث كانوا، وحيث ذهبوا ففوقهم سمائي وتحتهم أرضي، وأنا عليهم قادر، إن شئت أسقطت عليهم قطعًا من السماء من فوق رؤوسهم تدمرهم، وإن شئت خسفت بهم الأرض، إن في ذلك لعبرة ودلالة لكل عبد رجَّاع إلى الله ﷻ.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث

Nostrapdf.com

بعد الممات القائلون لرسولنا محمد ﷺ: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم؛ فيرتدعوا عن جهلهم وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرًا أن نأمر الأرض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليه قطعا، فإنا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ قال: ينظرون عن أيمانهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما خسفنا بمن كان قبلهم ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قطعًا من السماء.

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية: يقول: لدلالة لكل عبد منيب: يقول لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة، ورجع إلى معرفة توحيده والإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والإذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ والمنيب: المقبل التائب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال منبهًا لهم على قدرته في خلق السموات والأرض، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء

مظلة مُظلَّلة عليهم، والأرض تحتهم، كما قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الذاريات:٤٧، ٤٨].

قال عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؟ قال: إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو من بين يديك أو من خلفك، رأيت السماء والأرض.

وقوله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا.

ثم قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ قال مَعْمَر، عن قتادة: ﴿مُنِيبٍ﴾: تائب.

وقال سفيان عن قتادة: المنيب: المقبل إلى الله ﷻ.

أي: إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فَطِن لبيب رَجَّاع إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد؛ لأن مَنْ قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١]، وقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أعلم الله تعالى أن الذين قدر على خلق السموات والأرض وما فيهن قادر

على البعث وعلى تعجيل العقوبة لهم فاستدل بقدرته عليهم وأن السموات والأرض ملكه وأنهما محيطتان بهم من كل جانب فكيف يأمنون الخسف والكسف كما فعل بقارون وأصحاب الأيكة.

وقرأ حمزة و الكسائي: (**إن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط**) بالياء في الثلاث أي إن يشاء الله أمر الأرض فتنخسف بهم أو السماء فتسقط عليهم كسفًا الباقون بالنون على التعظيم وقرأ السلمي و حفص (**كسفا**) بفتح السين، الباقون بالإسكان وقد تقدم بيانه في سبحان وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي في هذا الذي ذكرناه من قدرتنا لآية أي دلالة ظاهرة ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾ أي: تائب رجاع إلى الله بقلبه وخَصَّ المنيب بالذكر؛ لأنه المنتفع بالفكرة في حُجج الله وآياته.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADLY.COM

ذكر نبي الله داود وسليمان عليهما السلام

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ
(١٠) أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(١١) وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ
ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ
ٱلسَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا
عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ
تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ (١٤) ﴾

[سبأ: ١٠-١٤]

MOSTAFAADWY.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿فَضْلًا -أَوِّبِي -وَأَلَنَّا -سَٰبِغَٰتٍ -وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ -غُدُوُّهَا شَهْرٌ -وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ -وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ -يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا -مَّحَٰرِيبَ -وَتَمَٰثِيلَ -وَجِفَانٍ -كَٱلْجَوَابِ - وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ -ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا -مِنسَأَتَهُۥ -خَرَّ -تَبَيَّنَتِ - ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(فَضْلًا)	شيئًا زائدًا عن الناس - زيادة
(أَوِّبِي)	سبِّحي معه - رجِّعي معه التسبيح
(وَأَلَنَّا)	جعلنا ليِّنًا في يده
(سَٰبِغَٰتٍ)	دروع سابغة تغطي الجسم كله
(وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ)	اجعل الثقب على قدر المسمار وقد قال البعض: إن السرد هو المسمار نفسه وقال آخرون: إن السرد هو الحلق نفسها
(غُدُوُّهَا شَهْرٌ)	ما تسيره (مسيرتها في الصباح - في الغداة) يعادل مسيرة الراكب لمدة شهر
(وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)	ومسيرتها في الرواح (عند الرجوع مساء) تعدل مسيرة شهر للراكب
(وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ)	جعلناها سائلة، عين القطر هي عين النحاس، والمراد: جعلنا له النحاس مذابًا، أي: أذبناه له.

Mostafa.com

﴿يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾	يحيد عن الأمر – لا يمتثل الأمر
﴿مَّحَارِيبَ﴾	الأبنية الجميلة الحسنة البهيجة، والمحراب أفضل شيء في المجالس – وقيل: القصور والمساجد
﴿وَتَمَاثِيلَ﴾	ما يصور على صورة حيوان أو غيره
﴿وَجِفَانٍ﴾	جمع جفنة، وهي التي يُوضع فيها الطعام
﴿كَالْجَوَابِ﴾	الجواب جمع جابية، وهي الحوض الذي يُجب إليه الماء
﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾	جمع قدر، والراسيات الثوابت التي لا تتحرك من عِظمها وضخامتها
﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾	قدموا شكرًا لله يا آل داود
﴿مِنسَأَتَهُ﴾	عصاه
﴿خَرَّ﴾	سقط (ميتًا)
﴿تَبَيَّنَتِ﴾	ظهر لها – اكتشفت
﴿الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾	المُذل المخزي المُرهق

❁ ❁ ❁

س: ما هذا الفضل الذي آتاه الله نبيه داود عليه السلام ؟

ج: لأهل العلم في تعيينه عدة أقوال، وكلها صحيحة، وكلها فضل، لخصها

MOSTAFAALDOW.COM

القرطبي بقوله:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ بَيَّنَ لمنكري نبوة محمد ﷺ أن إرسال الرسل ليس أمرًا بدعًا بل أرسلنا الرسل وأيدناهم بالمعجزات وأحللنا بمن خالفهم العقاب ﴿ءَاتَيْنَا﴾ أعطينا ﴿فَضْلًا﴾ أي أمرًا فضَّلناه به على غيره واختلف في هذا الفضل على تسعة أقوال:

الأول: النبوة. الثاني: الزبور.

الثالث: العلم قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾ [النمل: ١٥].

الرابع: القوة قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ [ص: ١٧].

الخامس: تسخير الجبال والناس قال الله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾.

السادس: التوبة قال الله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ [ص: ٢٦].

السابع: الحكم بالعدل، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦] الآية.

الثامنة: إلانة الحديد قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سبأ: ١٠].

التاسع: حسن الصوت وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن وحسن الصوت هبة من الله تعالى وتفضل منه وهو المراد بقوله تبارك وتعالى: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [فاطر: ١] على ما يأتي إن شاء الله تعالى وقال ﷺ لأبي موسى: «**لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**». قال العلماء: المزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سُمِّيت آلة الزمر مزمارًا.

❁ ❁ ❁

س: كثيرًا ما يتبع إصلاح أمر الدنيا بالحث على إصلاح أمر الآخرة. دلِّل

على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾.

نعقِّب أعمال الدنيا بأعمال الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي: يا من تريدون الحج، ولا تنسوا أمرًا آخر، وهو زاد الآخرة، وهو زاد التقوى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وكما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ثم قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾، إلى غير ذلك من النصوص.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم -: ولقد منا على داود عليه السلام وأعطيناه ما لم نعطه غيره من معاصريه، فلقد تفضلنا عليه بأمور كثيرة زائدة على الناس، ومنها: الصوت الحسن وتسخير الجبال، الجبال تُسبح معه إذا سبح، فكان ذا صوت حسن جدًّا عليه صلاة الله وسلامه كما قال النبي ﷺ لأبي موسىٰ رضي الله عنه: «**لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**».

وأمرنا الجبال أن تسبح معه في مشهدٍ مهيبٍ ومنظرٍ عجيبٍ ومَسْمع لم

يُسمع من قبل، وكذا الطير سخرناها أيضًا تسبح معه وتؤوب معه وترجع كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص: ١٨-١٩]، وكذلك فقد امتننا عليه بأن جعلنا الحديد سهلاً ليّنًا في يديه يتصرف فيه كيف يشاء ويصنع به ما يريد من غير حاجة إلى طَرْقٍ ولا إلى نار، ولا إلى غير ذلك، وأوحينا إليه وعلمناه أن يعمل الدروع السوابغ التي تقي سهام الأعداء وتُحفظ من ضرباتهم ونِبالهم وسيوفهم، كالقمصان الواقية التي يلبسها الملوك والرؤساء، ولكن الدروع التي كان يصنعها داود كانت سابغة تغطي الجسم كله، وقد قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] أي: لتمنعكم من عدوِّكم الذي يرميكم بسهامه ويضربكم بسيوفه وأوحينا إليه أن ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾، وقد قيل: إن السرد هو المسمار، وقيل: إنه الحلقة التي يدخل فيها المسمار، وعلى كُلٍّ فالمعنى: اجعل الثقب على قدر المسمار فلا توسع الحلقة (الثقب) فلا يُجدي المسمار معه بشيء، وكذا لا تُضيق الثقب عن المسمار فتنكسر الحلقة عند إدخال المسمار فيها، بل اضبط القُطر (قطر الحلقة وقُطر المسمار)، وهذا من أصول الصناعات.

ثم أرشده الله ﷻ إلى العمل الصالح مع هذا العمل الدنيوي، وإلا فليس للعمل الدنيوي نفع بدون عمل صالح، فقد قال تعالى عن أقوام: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧].

فقال تعالى: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ أي: لعملكم مراقب ومطلع وشاهد، لا يخفى عليَّ من عملكم شيء، وسأجازيكم عليه.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد أعطينا داود منَّا فضلًا وقلنا للجبال: (أوبي معه): سبحي معه إذا سبح. والتأويب عند العرب: الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله، ومنه قول الشاعر:

يومان يوم مقامات وأندية ... ويوم سير إلى الأعداء تأويب

أي رجوع وقد كان بعضهم يقرؤه (أُوبي معه) من آب يئوب، بمعنى تصرفي معه، وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة.

وأورد عدة آثار في تفسير ﴿أَوِّبِي﴾ أي: سبِّحي.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ قال: سبِّحي معه.

وقال الطبري أيضًا:

وقوله: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ وفي نصب الطير وجهان: أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نُوديت كما نوديت الجبال فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع بما لا يحسن إعادة رافعه عليه فيكون كالمصدر عن جهته، والآخر: فعل ضمير متروك استغني بدلالة الكلام عليه، فيكون معنى الكلام: فقلنا: يا جبال أوبي معه وسخرنا له الطير. وإن رفع ردًّا على ما في قوله: سبحي من ذكر الجبال كان جائزًا، وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال، وإن لم يحسن نداؤها بالذي نوديت به الجبال، فيكون ذلك كما قال الشاعر:

ألا يا عمرو والضحاك سيرا ... فقد جاوزتما خمر الطريق

MOSTAFALADAWY.COM

وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد.

وأورد عن قتادة بسندٍ حسن قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ سخر الله له الحديد بغير نار.

قال الطبري:

وقوله: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ يقول: وعهدنا إليه أن اعمل سابغات: وهي التوامُّ الكوامل من الدروع.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروع وكان أول من صنعها داود، وإنما كان قبل ذلك صفائح.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: السابغات: دروع الحديد.

وأورد الطبري قولين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ حاصلهما: أن السرد هو مسمار حلق الدرع، أي: المسامير التي في الحلق، والآخر السرد هو الحلق بعينها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ اختلف أهل التأويل في السرد؛ فقال بعضهم: السرد هو مسمار حلق الدرع.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ قال: كان يجعلها بغير نار، ولا يقرعها بحديد، ثم يسردها. والسرد: المسامير التي في الحلق. وقال آخرون: هو الحلق بعينها.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ قال: السرد

MOSTAFAADAWY.COM

حلقه، أي: قدر تلك الحلق، قال: وقال الشاعر:

أجـــاد المســـدي ســـردها وأذالهـــا

قال: يقول: وسعها أجاد حلقها.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعنى بقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: وقدر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار، وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة.

وقوله: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ يقول تعالى ذكره: واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ يقول جل ثناؤه: إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر، لا يخفى علي منه شيء، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود - صلوات الله وسلامه عليه- مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصُّمُّ الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري يقرأ من الليل، فوقف فاستمع لقراءته، ثم قال: «**لقد أوتي هذا مِزْمَارًا من مزامير آل داود**».

وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعت صوت صَنج ولا بَرْبَط ولا وَتَر أحسن

MOSTAFALADWA.COM

من صوت أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعنى قوله: ﴿أَوِّبِي﴾ أي: سبحي. قاله ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد.

والصواب أن المعنى في قوله تعالى: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ أي: رَجّعي معه مُسَبّحة معه، كما تقدم، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠﴾: قال الحسن البصري، وقتادة، والأعمش وغيرهم: كان لا يحتاج أن يُدخلَه نارًا ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط؛ ولهذا قال: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ وهي: الدروع. قال قتادة: وهو أول من عملها من الخلق، وإنما كانت قبل ذلك صفائح.

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: هذا إرشاد من الله لنبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في تعليمه صنعة الدروع.

قال مجاهد في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: لا تُدِقّ المسمار فَيقلَق في الحلقة، ولا تُغَلّظه فيفصمها، واجعله بقدر.

وقوله: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي: في الذي أعطاكم الله من النعم، ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾ أي: مراقب لكم، بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى علي من ذلك شيء.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم إذا يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم وكسب الحلال الخلي عن الامتنان وفي الصحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن خير ما أكل المرء من عمل يده**

Mostafa Adawy.com

وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» وقد مضى هذا في الأنبياء مجودًا والحمد لله.

❁ ❁ ❁

بعض نعم الله ﷻ على سليمان عليه السلام

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وسخرنا لسليمان عليه السلام الريح تحمله إلى حيث يشاء وإلى حيث يريد.

سخرناها له تقطع في ذهابها صباحًا (أي: في الغدوة صباحًا) ما يقطعه الراكب في شهر، وتقطع في رواحها (رجوعها أثناء الرواح) ما يقطعه الراكب في شهرٍ وأسلنا له عين النحاس، أي جعلنا النحاس يسيل بلا نارٍ، ولا صهرٍ، فكما أن الله ألان الحديد لداود، فقد جعل النحاس سائلاً لسليمان عليه السلام، وكذا سخرنا له جنًّا يعملون أمامه، سخَّرت له بتسخيرنا لهم، ومن يميل منهم عن الأمر - أمر سليمان عليه السلام، إذ إنه مُلِّك عليهم بتمليك الله له نذقه من عذاب النار المستعرة، وقيل: إن هذا العذاب في الآخرة، وعليه الأكثرون، وقيل: إنه في الدنيا.

قال الطبري رحمه الله:

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ ﴾ فقرأته عامة قراء الأمصار

Mostafawy.com

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ بنصب الريح، بمعنى: ولقد آتينا داود منا فضلًا وسخرنا لسليمان الريح. وقرأ ذلك عاصم: ﴿**ولسليمان الريح**﴾ رفعًا بحرف الصفة إذ لم يظهر الناصب.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لإجماع الحجة من القراء عليه.

وقوله: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال: تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر، قال: مسيرة شهرين في يوم.

وقوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ يقول: وأذبنا له عين النحاس، وأجريناها له.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ عين النحاس كانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ قال: الصفر سال كما يسيل الماء، يعمل به كما كان يعمل العجين في اللبن.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي لنهيه؛ فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه، يقول: بأمر الله بذلك، وتسخيره إياه له ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ يقول: ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة.

MOSTAFAAMY.COM

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان، من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر.

قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغذّى بها، ويذهب رائحا من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ أي: وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله، أي: بقدره، وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك. ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ أي: ومَنْ يعدل ويخرج منهم عن الطاعة ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ وهو الحريق.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن الله ﷻ سخَّر الشياطين لسليمان عليه السلام تعمل له ما يريده من محاريب وهي الأبنية الحسنة الفاخرة، وهي أشرف شيء في المجلس وأفضله ومقدمته.

وقيل إن المراد به القصور والمساجد، وقيل: المساكن العظيمة الفخمة، وكذا يصنعون له التماثيل، وهي جمع تمثال، وهو ما كان على صورة الحيوان أو غيره، وكان هذا جائزًا في زمن سليمان عليه السلام وعيسى عليه السلام ونسخ ذلك في شريعتنا، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تدع صورة إلا طمستها**»، وكذا يعملون له

الجفان، وهي جمع جفنة، وهي التي يوضع فيها الطعام، ولكنها كانت عظيمة جدًّا فقد كانت الجفنة كالجابية، والجابية هي الحوض الذي يجبىٰ إليه الماء، وهي المكان المنخفض المتسع الذي يتجمع فيه الماء.

وكذا يعملون له القدور الهائلة - قدور الطبخ - العظيمة التي لا تنقل من أماكنها.

ثم يوجه إليه الأمر بعمل الصالحات، فيقول تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾، قلَّ من العباد من يقدم شكرًا لله ﷻ.

قال الطبري رحمه الله:

يعني تعالى ذكره: يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محاريب وهي جمع محراب، والمحراب: مقدم كل مسجد وبيت ومصلى، ومنه قول عدي بن زيد:

كدمي العاج في المحاريب أو كال ... بيض في الروض زهره مستنير

وقوله: ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج.

قوله: ﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾ يقول: وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب، وهي جمع جابية والجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

تروح على نادي المحلق جفنة ... كجابية الشيخ العراقي تفهق

وكما قال الآخر:

فصبحت جابية صهارجا ... كأنها جلد السماء خارجا

وأورد بإسناد صحيح عن الحسن ﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾ قال: كالحياض.

MOSTAFALADY.COM

وقوله: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ يقول: وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهن، ولا تحول لعظمهن.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ قال: عظام ثابتات الأرض لا يزلن عن أمكنتهن.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ قال: مثال الجبال من عظمها، يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم، لا تحرك ولا تنقل، كما قال للجبال: راسيات.

وقوله: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرًا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصَّكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه، وترك ذكر: «وقلنا لهم» اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه، وأخرج قوله: ﴿شُكْرًا﴾ مصدرًا من قوله: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ لأن معنى قوله: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾ اشكروا ربكم بطاعتكم إياه، وأن العمل بالذي رضي الله، لله شكر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ قال: أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم، وعلمكم منطق الطير، اشكروا له يا آل داود قال: الحمد طرف من الشكر.

وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدي والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَتَمَـٰثِيلَ﴾ جمع تمثال وهو كل ما صور على مثل صورة من

الحيوان أو غير حيوان وقيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل أشياء ليست بحيوان.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

حكى مكي في الهداية له: أن فرقة تجوز التصوير وتحتج بهذه الآية، قال ابن عطية: وذلك خطأ وما أحفظ عن أحد من أئمة العلم من يجوزه.

قلت: ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله. قال النحاس: قال قوم عمل الصور جائز لهذه الآية ولما أخبر الله ﷻ عن المسيح وقال قوم: قد صح النهي عن النبي ﷺ عنها والتوعد لمن عملهما أو اتخذها فنسخ الله ﷻ بهذه ما كان مباحًا قبله وكانت الحكمة في ذلك لأنه بعث عليه السلام والصور تعبد فكان الأصلح إزالتها.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

التمثال على قسمين: حيوان وموات والموات على قسمين: جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه لعموم قوله: وتماثيل وفي الإسرائيليات: أن التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان فإن قيل: لا عموم لقوله: ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ فإنه إثبات في نكرة والإثبات في النكرة لا عموم له إنما العموم في النفي في النكرة. قلنا: كذلك هو بيد أنه قد اقترن بهذا الإثبات في النكرة ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله: ما يشاء فاقتران المشيئة به يقتضي العموم له فإن قيل: كيف استجاز الصور المنهي عنها ؟ قلنا كان ذلك جائزا في شرعه ونسخ ذلك بشرعنا كما بيَّنا والله أعلم.

وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصور؛ إذ ذاك محرمًا.

MostafaLabib.com

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

مقتضى الأحاديث يدل على أن الصور ممنوعة ثم جاء: «**إلا ما كان رقما في ثوب**» فخُصَّ من جملة الصور ثم ثبتت الكراهية فيه بقوله عليه السلام لعائشة في الثوب: «**أخريه عني فإني كلما رأيته ذكرت الدنيا**» ثم بهتكه الثوب المصور على عائشة منع منه، ثم بقطعها له وسادتين تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها فإن جواز ذلك إذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز لقولها في النمرقة المصورة: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فمنع منه وتوَّعد عليه وتبين بحديث الصلاة إلى الصور أن ذلك جائز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه فهكذا استقر الأمر فيه والله أعلم، قاله ابن العربي.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

روى مسلم عن عائشة قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله فقال رسول الله ﷺ: «**حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا**»[1] قالت: وكانت لنا قطيفة كنا نقول عَلَمُها حرير فكنا نلبسها وعنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا مستترة بقرام فيه صورة فتلون وجهه، ثم تناول الستر فهتكه، ثم قال: «**إن من أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله** عز وجل»[2] وعنها: أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدوة إلى سهوة فكان النبي ﷺ يصلي إليه فقال: «**أخريه عني**» قالت: فأخرته فجعلته وسادتين قال

---

(١) مسلم (٢١٠٧).

(٢) مسلم (٢١٠٧).

MOSTAFALABIB.COM

بعض العلماء: ويمكن أن يكون تهتيكه عليه السلام الثوب وأمره بتأخيره ورعًا؛ لأن محل النبوة والرسالة الكمال فتأمله.

وقال رحمه الله:

قال المزني عن الشافعي: إن دعي رجل إلى عرس فرأى صورة ذات روح أو صورًا ذات أرواح لم يدخل إن كانت منصوبة وإن كانت توطأ فلا بأس وإن كانت صورة الشجر ولم يختلفوا أن التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك عندهم ما كان خرطا أو نقشا في البناء واستثنى بعضهم ما كان رقمًا في ثوب لحدث سهل بن حنيف.

قلت: لعن رسول الله المصورين ولم يستثن وقوله: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم**» ولم يستثن وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ومن لسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين**»(١) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح، وفي البخاري و مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون**»(٢) يدل على المنع من تصوير شيء أي شيء كان وقد قال جلَّ وعزَّ: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠] على ما تقدم بيانه فاعلمه.

وقال رحمه الله:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١٧/ ٤٥١) وغيرهما، وانظر علل الدارقطني (١٠/ ١٤٧، رقم ١٩٣٧).

(٢) البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩).

وقد استثنى من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صلى الله عليه و سلم تزوجها وهي بنت سبع سنين وزُفَّتْ إليه وهي بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وعنها أيضًا قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل ينقمن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي. خرَّجهما مسلم. قال العلماء: وذلك للضرورة إلى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن ثم إنه لا بقاء لذلك وكذلك مايصنع من الحلاوة أومن العجين لا بقاء له فرخَّص في ذلك والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الشكر:

وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله تعالى عنها- أن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه فقالت له عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» انفرد بإخراجه مسلم[1] فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان فالشكر بالأفعال عمل الأركان والشكر بالأقوال عمل اللسان والله أعلم.

س: هل أدى آل داود الشكر كما أُمِرُوا؟

ج: في الصحيحين عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**إن أحبَّ الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وأحب الصيام إلى الله**

(١) مسلم (٢٨١٩)، والبخاري (٤٨٣٧)، وله طرق أُخرى عن رسول الله ﷺ عند البخاري (١١٣٠) من حديث المغيرة أيضًا، وَوَهِمَ القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ إذ قال: انفرد بإخراجه مسلم.

Mostafa Abo.com

صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يَفر إذا لاقى»[(١)].

فهذا دليل على كونهم أَدُّوا شكر النعمة كما أُمِرُوا، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - فلما حكمنا على سليمان بالموت وحان أجله فمات، أو فلما قدَّرنا عليه الموت فمات، مات عليه السلام ولم تعلم الجن بموته إلا لما سقط على الأرض ميتًا، فقد مات وبَقِيَ زمنًا متكئًا على عصاه، ودابة الأرض التي هي الأرضة (وهي دودة تأكل الخشب) استمرت تأكل عصاه حتى أوهنتها فسقط عليه السلام فحينئذ ظهر للجن أنهم لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون، أو كان يوهمهم كبراؤهم، ويوهمون هم الناس. فلو كانوا يعلمون الغيب ما استمرُّوا مسخرين مُذللين في العمل الشاق المرهق، والله أعلم.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ﴾ يقول: لم يدل الجن على موت سليمان ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكِئًا عليها فأكلتها، فذلك قول الله عز وجل

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

MostafaAbbas.com

﴿تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ﴾ يقول ﷻ: فلما خر سليمان ساقِطًا بانكسار منسأته تبينت الجن ﴿أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ﴾ الذي يدعون علمه ﴿مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ١٤﴾ المذل حولًا كاملًا بعد موت سليمان، وهم يحسبون أن سليمان حيٌّ.

وأورد الطبري حديثا عن رسول الله ﷺ في ذلك، ويبدو أن الحديث في ثبوته نظر.

قال الطبري رحمه الله:

حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة قال ثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك؟ فتقول كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فإن كانت تغرس غرست، وإن كان لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي؛ حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولًا ميتًا، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فسقط، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين**». قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، قال: فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء.

هذا، وقد علق الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الخبر بقوله، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر، فذكره، وقال بعد ذكره:

وهكذا رواه ابن أبي حاتم، من حديث إبراهيم بن طَهْمان، به. وفي رفعه غرابة ونكارة، والأقرب أن يكون موقوفًا، وعطاء بن أبي مسلم[1] الخراساني له غرابات، وفي بعض حديثه نكارة.

وأورد الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، قال: كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ ولقد لبثوا يدأبون، ويعملون له حولا.

قلت (مصطفى): وأرى هذا الأثر من أوفق الآثار التي سيقت في تفسير الآية لتمشيه مع سياقها، والله أعلم.

وأورد الطبري أثرًا بسندٍ صحيح عن ابن زيد، وأراه مأخوذًا من الإسرائيليات كذلك فيه قال ابن زيد، في قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ قال: قال سليمان لملك الموت: يا ملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني، قال: فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحًا من قوارير، ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكىء على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارًا من ملك الموت، قال: والجن تعمل بين يديه

(١) كذا قال، والصواب عطاء بن السائب، فليس لابن أبي مسلم ذِكر في هذا السند.

وينظرون إليه يحسبون أنه حي، قال: فبعث الله دابة الأرض، قال: دابة تأكل العيدان يقال لها القادح، فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا، ضعفت وثقل عليها فخر ميتًا، قال: فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا، قال: فذلك قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ قال: والمنسأة: العصا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى كيفية موت سليمان، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف عَمَّى الله موته على الجانّ المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئًا على عصاه -وهي مِنْسَأته- كما قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغير واحد -مدة طويلة نحوا من سنة، فلما أكلتها دابةُ الأرض، وهي الأرضة، ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة- تبينت الجن والإنس أيضًا أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAADAWY.COM

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْأٓخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ: ١٥-٢١]

MOSTAFABAKRY.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿لِسَبَإٍ -ءَايَةٌ -سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ -خَمۡطٍ -وَأَثۡلٍ -قُرًى ظَٰهِرَةً -بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا -فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ -وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ -لَأٓيَٰتٖ -صَبَّارٖ -شَكُورٍ -صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ -سُلۡطَٰنٍ -حَفِيظٞ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(لِسَبَإٍ)	قيل اسم لرجلٍ - قبيلة - بلدة - بلاد
(ءَايَةٌ)	دليل على قدرتنا وفضلنا
(سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ)	سيل الإفساد والدمار - سيل الماء الغزير - سيل الوادي - سيل الشديد - سيل الجرذان (الفئران)
(خَمۡطٍ)	الأراك الذي يؤخذ منه السواك - وقيل المراد ثمرة شجرة الأراك
(وَأَثۡلٍ)	شجر يقال له الطرفاء (طرفاء الغابات)
(قُرًى ظَٰهِرَةً)	قرى واضحة معروفة لدى الناس، متواصلة، بادية على الطريق
(وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ)	جعلنا المسافات بين القرى على القدر الذي يحتاجه المسافر
(بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا)	اجعل هنالك مسافات بين الاستراحات التي نزل فيها أثناء سفرنا
(فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ)	جعلناهم على ألسنة الناس، يسبهم الناس، ويتندرون بذكرهم

Mostafalaw.com

﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾	شتتناهم وفرقناهم في كل مكان
﴿لَءَايَٰتٍ﴾	لعبرة ودلالة
﴿صَبَّارٍ﴾	صبار على الطاعات، وصبار عن المعاصي
﴿شَكُورٍ﴾	شكور على النعم
﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾	حقَّق فيهم
﴿سُلْطَٰنٍ﴾	حُجة - تسلط (بضرب أو بحجة)
﴿حَفِيظٌ﴾	عالم بكل شيء ويحفظه على العبد ويسجله عليه

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في سبأ

س: اذكر بعض الأخبار الواردة في سبأ مبيِّنًا مدى صحتها.

ج: من ذلك ما يلي:

ما أخرجه الطبري في تفسيره إذ قال حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي حيان الكلبي[1] عن يحيى بن هانىء عن عروة المرادي عن رجل منهم يقال له: فروة بن مسيك قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما كان؟ رجلًا كان أو امرأة، أو جبلا أو دواب؟ فقال: «**لا كان رجلًا من العرب وله عشرة أولاد؛ فتيمن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تيمنوا منهم فكندة وحمير والأزد والأشعريون ومذحج وأنمار الذين منها خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاءموا؛**

---

(١) تصويبه أبو خباب الكلبي.

وهو يحيى بن أبي حية، وهو ضعيف.

والخبر أيضًا عند الطبراني في الكبير (٨٣٤) من طريق أبي جناب.

Nostrabooks.com

فعاملة وجذام ولخم وغسان».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثني الحسن بن الحكم قال ثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي قال: قال رجل يا رسول الله: أخبرني عن سبأ ما هو؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من الولد؛ فتيامن ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان، وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وحمير وأنمار، فقال رجل: ما أنمار؟ قال: «**الذين منهم خثعم وبجيلة**»(١).

حدثنا أبو كريب ثنا العنقزي قال أخبرني أسباط بن نصر عن يحيى بن هانىء المرادي عن أبيه أو عن عمه(أسباط شك) قال: قدم فروة بن مسيك على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أجبلًا كان أو أرضًا؟ فقال: لم يكن جبلاً ولا أرضًا ولكنه كان رجلا من العرب ولد عشرة قبائل ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: «وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم»(٢).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا ابن لهيعة، عن عبد الله بن هُبَيرة، عن عبد الرحمن بن وَعلة؛ قال: سمعت ابن عباس يقول: إن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن سبأ: ما هو؟ رجل أم امرأة أم أرض؟ قال: «**بل هو رجل، ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة، فأما اليمانيون فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير، وأما الشامية فلخم،**

---

(١) وسنده أيضًا ضعيف، وأخرجه أبو داود (٣٩٩٠)، والترمذي (٣٢٢٢)، وغيرهما وفي سنده أبو سبرة النخعي، قال ابن معين: لا أعرفه، والحسن بن الحكم يخطئ كثيرًا.

(٢) وفيه ضعف أيضًا.

وجذام، وعاملة، وغسان»[(١)].

قال ابن كثير بعد أن أورده: رواه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به. وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه. وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب «القصد والأمم بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم»، من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه. وقد روي نحوه من وجه آخر.

وقال ابن كثير رحمه الله:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، حدثني ابن لهيعة، عن توبة بن نَمر، عن عبد العزيز بن يحيى أنه أخبره قال: كنا عند عبيدةبن عبد الرحمن بأفريقية فقال يومًا: ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها. فقال علي بن رباح: كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مُسَيك الغُطَيفي قدم على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية، وإني أخشى أن يرتدّوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: «**ما أمرت فيهم بشيء بعد**». فأنزلت هذه الآية: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ الآيات، فقال له رجل: يا رسول الله، ما سبأ؟ فذكر مثل هذا الحديث الذي قبله: أن رسول الله ﷺ سُئل عن سبأ: ما هو؟ أبلد، أم رجل، أم امرأة؟ قال: «**بل رجل، وَلَد له عَشَرَة فسكن اليمن منهم ستة، والشام أربعة، أما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير غير ما حلها. وأما الشام: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة**».

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٩٨)، والطبراني في الكبير (٦/ ١٢٨)، والحاكم (٣٥٨٥) وغيرهم، وفي سنده ضعف واختلاف.

فيه غرابة من حيث ذكر [نزول] الآية بالمدينة، والسورة مكية كلها، والله أعلم.

وللحديث طرق أُخر لا تخلو من ضعف أو جهالة أو مقال.

أخرجها الحاكم والطبراني في الكبير والبخاري في التاريخ الكبير[1] وابن أبي خيثمة في التاريخ وغيرهم.

وهل يُحسَّن القدر المشترك بين تلك الروايات أم أنها تبقى كلها في حيز الضعف؟ في ذلك وجهان للعلماء والله أعلم.

وقد جنح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ إلى تقوية هذه الأخبار وتحسينها.

❁ ❁ ❁

س: من سبأ؟

ج: في الأخبار السابقة عن رسول الله ﷺ أن سبأ رجلٌ.

ومن أهل العلم، الذين جنحوا إلى تضعيف الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد.

من قال أيضًا إن سبأ رجل، وهو اسم أبي اليمن، ومنهم من قال إنها قبيلة.

ومنهم من قال إنها بلاد، وفي الآية الكريمة ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال علماء النسب، منهم محمد بن إسحاق: اسم سبأ: عبد شمس بن

(١) الحاكم (١٣٥٨٦)، والطبراني (٨٣٥)، و(٨٣٨)، والبخاري في التاريخ الكبير (٥٦٨)، وابن أبي خيثمة في التاريخ (٥٣١٦).

Nostrafalaw.com

يشجب بن يعرب بن قحطان.

وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يقال له: الرائش؛ لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه، فسمي الرائش، والعرب تسمي المال: ريشا ورياشا. وذكروا أنه بشَّر برسول الله ﷺ في زمانه المتقدم، وقال في ذلك شعرًا:

سَيَمْلِكُ بَعْدَنَا مُلْكًا عَظِيمًا ... نَبِيٌّ لا يُرَخِّصُ في الحَرَام

وَيَملك بَعْدَه مِنْهُم مُلُوك ... يدينون العبادَ بغَيْر ذام

ويَملك بَعدهم منا مُلُوك ... يَصير المُلك فينَا باقْتسَام

وَيَمْلك بَعْد قَحْطَان نَبِي ... تَقِي خَبْتَة خير الأنام

وسُمِيَ أحْمَدًا يَا لَيْتَ أني ... أُعَمَّرُ بَعْد مَبْعَثه بعام

فأعضُده وأَحْبوه بنَصْري ... بكُل مُدَجّج وبكُل رام

متى يَظْهَرْ فَكُونُوا نَاصريه ... وَمَنْ يَلْقَاهُ يُبْلغه سَلامي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب «الإكليل».

❁ ❁ ❁

قصة قوم سبأ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - لقد كان لقبيلة سبأ ولذرية سبأ (على رأي من قال إنه رجل) في بلادهم التي يسكنونها آية، علامة على فضل الله وقدرته

MOSTAFALADY.COM

وإنعامه وإحسانه، آية يستدرك بها على وحدانيته وعلى رزقه لمن تفكر وتأمل واعتبر، هذه الآية تتمثل في جنتين، بستانين عن يمين الداخل وشماله فيهما من كل الثمرات بلا جهد ولا تعب ولا مشقة كلوا يا آل سبأ من رزق الله الذي رزقكم إياه وقدموا شكرًا لله على نعمه وإحسانه، فبلدتكم بلدةٌ طيبة وربكم غفور لذنوبكم. وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: لقد كان لولد سبأ في مسكنهم علامة بينة، وحجة واضحة على أنه لا رب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها.

وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن.

وذكر الطبري بعض الأحاديث التي قدمتها وقال، وأما قوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ فإنه يعني بستانين كانا بين جبلين عن يمين من آتاهما وشماله، وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ قال: ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط، ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب، فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم، فتموت الدواب، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج، وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده، قال: والسد يسقيها.

ورفعت الجنتان في قوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ ترجمة عن الآية، لأن معنى الكلام: لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي جنتان عن أيمانهم وشمائلهم.

وقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما، ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك، وإلى هذا منتهى الخبر، ثم ابتدأ الخبر عن البلدة فقيل: هذه بلدة طيبة أي ليست بسبخة، ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد أن كانت كما وصفها به ابن زيد من أنه لم يكن فيها شيء مؤذٍ؛ الهمج والدبيب والهوام ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ يقول: ورب غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ وربكم غفور لذنوبكم، قوم أعطاهم الله نعمة، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كانت سبأ ملوكَ اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس -صاحبة سليمان-منهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم، وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم. وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ، شذر مَذرَ، كما يأتي تفصيله وبيانه قريبًا إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث، ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، ليوحدوه ويعبدوه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾، ثم فسرها بقوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي: من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك، ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ أي: غفور لكم إن

استمررتم على التوحيد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ءَايَةٌ﴾ اسم كان أي علامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقا خلقهم وأن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ولم يهتدوا إلى اختلاف أجناس الثمار وألوانها وطعومها وروائحها وأزهارها وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون إلا من عالم قادر.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم أمر ولكنهم تمكنوا من تلك النعم وقيل: أي قالت الرسل لهم قد أباح الله تعالى لكم ذلك أي أباح لكم هذه النعم فاشكروه بالطاعة ﴿مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي من ثمار الجنتين ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ يعني على ما رزقكم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ هذا كلام مستأنف أي هذه بلدة طيبة أي كثيرة الثمار وقيل: غير سبخة وقيل: طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها قال مجاهد: هي صنعاء ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ أي والمنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه وقيل: إنما ذكر المغفرة مشيرًا إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام وقد مضى القول في هذا في أول البقرة وقيل: إنما امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستئصال بتكذيب من كذبوه من سالف الأنبياء إلى أن استداموا الإصرار فاستؤصلوا.

❁ ❁ ❁

Mostafa Adawy.com

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - أن قوم سبأ لما أعرضوا عن الإيمان والتوحيد وشكر النعم، تبدلت نعم الله عليهم إلى نقم، فقد أُرسل عليهم السيل الشديد المفسد المدمر، فدَّمر جنتيهم وأبادهما وأفناهما ونبتت مكانها جنتان منهما ما يؤكل، جنتان بستانان فيهما الخمط، وعود الأراك والأثل وهو طرفاء الغابة، وكل ذلك لا يكاد ينتفع به، أما الذي ينتفع به - وهو السدر - فهو قليل، ذلك العقاب الذي عاقبناهم به إنما هو بسبب جحدهم وكفرهم، فلا نعاقب أهل الصلاح على صلاحهم وإنما نعاقب أهل الشرك والفساد والعصيان والكفر على ما يصدر منهم من كفران وجحود ونكران.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها إليه رسلها من أنه خالقها.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ يقول تعالى ذكره: فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول.

والعرم: المسناة التي تحبس الماء، واحدها عرمة، وإياه عنى الأعشى بقوله:

ففي ذاك للمؤتسي أسوة ... ومأرب عفى عليه العرم

رجام بنته لهم حمير ... إذا جاء ماؤهم لم يرم

MOSTAFAADAWY.COM

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس.

وأورد الطبري بعض الآثار بذلك. ليست بالمرفوعة إلى رسول الله ﷺ.

ثم قال: وقيل إن العرم اسم وادٍ كان لهؤلاء.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع إليه مسايل من أودية شتى، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه، ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئًا.

وقال آخرون: العرم صفة للمسناة التي كانت لهم وليس باسم لها.

وقوله: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، والأراك هو الخمط.

وأورد عدة آثار مفادها أن الخمط هو الأراك.

أورد بإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ قال: أذهب تلك القرى والجنتين، وأبدلهم الذي أخبرك ذواتي أكل خمط، قال: فالخمط: الأراك، قال: جعل مكان العنب أراكًا، والفاكهة أثلًا وشيئًا من سدر قليل.

قال الطبري:

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار بتنوين ﴿أُكُلٍ﴾ غير أبي عمرو، فإنه يضيفها إلى الخمط بمعنى ذواتي ثمر خمط. وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخمط وينونون الأكل، فإنهم جعلوا الخمط

هو الأكل، فردوه عليه في إعرابه. وبضم الألف والكاف من الأكل قرأت قراء الأمصار، غير نافع، فإنه كان يخفف منها.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾ بضم الألف والكاف لإجماع الحجة من القراء عليه، وبتنوين أكل لاستفاضة القراءة بذلك في قراء الأمصار، من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الخمط، وذلك في إضافته وترك إضافته، نظير قول العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم، فتضيف أحيانا الأعناب إلى الكرم لأنها منه، وتنون أحيانا، ثم تترجم بالكرم عنها، إذ كانت الأعناب ثمر الكرم.

وأما الأثل: فإنه يقال له: الطرفاء، وقيل: شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها، وقيل: إنها السمر.

وقوله: ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ يقول: ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل.

وكان قتادة يقول في ذلك: ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ قال: بينما شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم، حتى هلكت أموالهم، وخربت جناتهم، جزاء منا على كفرهم بنا، وتكذيبهم رسلنا، و﴿ذَٰلِكَ﴾ من قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم﴾ في موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه، ومعنى الكلام: جزيناهم ذلك بما كفروا.

وقوله: ﴿وَهَلْ نُجَازِيٓ إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ اختلفت القراء في قراءته؛ فقرأته عامة

قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ﴿**وهل يجازى**﴾ بالياء وبفتح الزاي على وجه ما لم يسم فاعله ﴿**إلا الكفور**﴾ رفعًا. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ﴾ بالنون وبكسر الزاي ﴿إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ بالنصب.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، ومعنى الكلام: كذلك كافأناهم على كفرهم بالله وهل يجازى إلا الكفور لنعمة الله.

وقال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦﴾: لما كان أجودَ هذه الأشجار المبدل بها هو السّدْر قال: ﴿وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ١٦﴾، فهذا الذي صار أمر تَيْنك الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسّدْر ذي الشوك الكثير والثمر القليل. وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل.

وقال القرطبي:

قوله تعالى: ﴿وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ﴾ وقرأ أبو عمرو أكل خمط بغير تنوين مضافا قال أهل التفسير والخليل: الخمط الأراك الجوهري: الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل وقال أبو عبيدة: هو كل شجر ذي شوك فيه مرارة الزجاج: كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله المبرد: الخمط كل ما تغير إلى ما لا يشتهى واللبن خمط إذا خفض والأولى عنده في القراءة ذواتي أكل خمط بالتنوين على أنه نعت لـ أكل أو بدل منه لأن الأكل هو الخمط بعينه

MOSTAFAADAWY.COM

عنده فأما الإضافة فباب جوازها أن يكون تقديرها ذواتي أكل حموضة أو أكل مرارة...

إلى آخر ما قال رَحِمَهُ اللَّهُ.

❁ ❁ ❁

س: كيف كان هذا الدمار والخراب الذي أصاب سبأ؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال لا أعلم قولاً منها استند على دليل صريح، والحاصل أن السيل أُرسل عليهم فدمَّر مزارعهم وحدائقهم وبيوتهم على ما أفادته الآية الكريمة إجمالاً، وإن كان بعض أهل العلم قد ذكروا أقوالاً في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم.

فقال بعضهم: كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا في السد عمل فيه، ثم فاض الماء على جناتهم؛ فغرقها وخرب أرضهم وديارهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد، فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم، وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: بعث الله عليه جرذا وسلطه على الذي كان يحبس الماء الذي يسقيها، فأخرب في أفواه تلك الحجارة وكل شيء منها

MOSTAFALADWY.COM

من رصاص وغيره، حتى تركها حجارة، ثم بعث الله سيل العرم، فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس، واقتلع تلك الجنتين، فذهب بهما، وقرأ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ قال: ذهب بتلك القرى والجنتين.

وقال آخرون: كانت صفة ذلك أن الماء الذي كانوا يعمرون به جناتهم سال إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، فبذلك خربت جناتهم.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم، أو على جناتهم وأرضهم لا بصرفه عنهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

ج: أقول - وبالله التوفيق - والعلم عند الله تَعَالَى:

أولاً: الذي أختاره في معنى ﴿نُجَازِيٓ﴾ هو نعاقب.

ثانيًا: ليُعلم أن ما يصيب الناس من البلايا.

والمصائب وتحوُّل النعم عنهم، يكون في الغالب لأحد أمرين:

أولهما: أن تكون تلك المصائب والبلايا وتحول النعم سببها معاصي ارتكبوها، وجرائم اقترفوها فجاءت تلك المصائب عقوبات من الله على ما اقترفوه وما اكتسبوه، وعقوبات على عدم شكر النعم.

ثانيهما: أن تكون تلك الابتلاءات لرفعة الدرجات، إذا هم صبروا عليها

MOSTAFAALDIB.COM

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

* فعلى هذا قد تكون البلية واحدة، ولكنها انتقامًا من شخصٍ، وإكرامًا لشخص آخر فقد يهدم بيتٌ على من فيه، ولكن أحد الذين تهدَّم عليهم البيت نالوا الفضل الوارد في الحديث «**صاحب الهدم شهيد**».

والآخرون خرَّ عليهم السقف من فوقهم عقابًا على جرائمهم وانتقامًا منهم كما قال تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النحل: ٢٦].

وبعد هذا التقرير أقول مستعينًا بالله ﷻ إن قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ لا إشكال على معناه بحالٍ من الأحوال، فحاصل معناه وهل نعاقب إلا الكفور؟ سواء قلنا إنه كفور النعم أو الكفور بالله، كل ذلك لا إشكال فيه.

فالآية الكريمة وردت عقب ذِكر سبأ وما كانوا فيه من النعيم، وما قابلوا به تلك النعم، ألا وهو الأعراض، وسواء قلنا الإعراض عن الإيمان أو الإعراض عن شكر النعم فكل ذلك يجلب العقاب.

فالمعنى، وهل نعاقب إلا من جحد نعمنا عليه وأنكرها ولم يقدم لها شكرًا بل قابلها بالطغيان والنكران.

وأيضًا: وهل نعاقب إلا من كفر بنا وعصى أمرنا وجحد قدرتنا ووحدانيتنا.

MOSTAFANAWY.COM

وهذا صحيح قطعًا، وإلا فالمطيع لا يعاقب أبدًا على طاعته لله، والشاكر لا يعاقب أبدًا لكونه شكر الله، والموحد لا يعاقب أبدًا على توحيده لله.

إنما يعاقب العاصي لعصيانه والجاحد لجحده، والمشرك لشركه.

أما ما قد يُتوهم من أن مسلمًا غنيًّا قد أصبح فقيرًا أو أن مسلمًا صحيحًا قد ابتلى فمرض مرضًا شديدًا أو غير ذلك، فهذا كله - كما أسلفتُ - إنما يكون لرفعة الدرجات وعلو المقامات، والله أعلم.

وبهذا الذي ذكرته، والتوفيق من الله وبالله، فيدفع الإشكال الذي أورده بعض أهل العلم حول قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾، وأجابوا بأجوبة لا تكاد تستقيم أو لا تكاد تفهم حيث قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مسألة: في هذه الآية سؤال ليس في هذه السورة أشد منه وهو أن يقال: لم خص الله تعالى المجازاة بالكفور ولم يذكر أصحاب المعاصي ؟ فتكلم العلماء في هذا فقال قوم: ليس يجازى بهذا الجزاء الذي هو الاصطلام والإهلاك إلا من كفر وقال مجاهد: يجازي بمعنى يعاقب وذلك أن المؤمن يكفر الله تعالى عنه سيئاته والكافر يجازى بكل سوء عمله فالمؤمن يجزى ولا يجازى لأنه يثاب وقال طاوس: هو المناقشة في الحساب وأما المؤمن فلا يناقش الحساب وقال قطرب خلاف هذا فجعلها في أهل المعاصي غير الكفار وقال: المعنى على من كفر بالنعم وعمل بالكبائر النحاس: وأولى ما قيل في هذه الآية وأجل ما روي فيها: أن الحسن قال مثلا بمثل وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حوسب هلك**» فقلت: يا نبي الله فأين قوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨] قال: «**إنما ذلك**

العرض ومن نوقش الحساب هلك» وهذا إسناد صحيح وشرحه: أن الكافر يكافأ على أعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير ويبين هذا قوله تعالى في الأول: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾ [سبأ: ١٧]، وفي الثاني: وهل يجازى إلا الكفور ومعنى يجازى: يكافأ بكل عمل عمله ومعنى جزيناهم وفيناهم فهذا حقيقة اللغة وإن كان جازى يقع بمعنى جزى مجازًا.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: أوما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة، فيخص أهل الكفر بالجزاء؟ فيقال: وهل يجازى إلا الكفور؟ قيل: إن المجازاة في هذا الموضع المكافأة، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف، ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه، والمكافأة لأهل الكبائر والكفر، والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل، فلذلك قال جلّ ثناؤه في هذا الموضع ﴿**وهل يجازى إلا الكفور**﴾؟ كأنه قال جل ثناؤه: لا يجازى: لا يكافأ على عمله إلا الكفور، إذا كانت المكافأة مثل المكافأ عليه، والله لا يغفر له من ذنوبه شيئا، ولا يمحص شيء منها في الدنيا.

وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفت.

❁ ❁ ❁

س: ما هذه القرى التي بارك الله فيها؟

ج: لأهل العلم فيها قولان: أحدهما بيت المقدس، والآخر: الشام

Nostrafrabbi.com

عمومًا.

ولقد قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

والله تعالى أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما وجه البركة في هذه القرى التي قال تعالى: ﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾؟

ج: قيل بكثرة الثمار والأشجار والمياه، وقيل بكثرة عدد أهلها وصلاحهم، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾؟

ج: الظاهر - والله أعلم - أن المسافات بين تلك القرى وبعضها قدرها الله ﷻ، فكلما شعر المسافر بتعب وإرهاق وجد منزلاً ومأوى، أي أن المسافات بين تلك القرى ليست بالطويلة، بل هي المسافات التي يطمئن معها المسافر ولا يخاف من قطع طريق أو قلة زاد أو غير ذلك مما يخشاه المسافرون.

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن الله ﷻ أمتن على هذه القبيلة وهؤلاء القوم - قوم سبأ - بمنن أُخر غير طيب العيش في بلادهم وسعة الأرزاق فيها وحسن ثمارها وبهجة أشجارها ونباتاتها، ففضلًا عن ذلك إذا أرادوا سفرًا

لعبادة أو لتجارة إلى بلاد الشام وبيت المقدس التي كانت محلاً لذلك، فإن الله ﷻ يسر عليهم سُبُل السفر فهنالك منازل للاستراحة والاستجمام، فالسفر ليس بموحش، والطريق ليس بمقطوع، بل هو طريق مؤنس عليه قرى وبلاد واضحة المعالم كلما تعب المسافر أو كاد أن يتعب وجد استراحة ينزل فيها، فلا يخاف ولا يقلق بل يجد الزاد ويجد الأمان، كما قال تعالى للقرشيين: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾.

[قريش: ٣-٤]

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مخبراً عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم: وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التي باركنا فيها وهي الشأم، قرى ظاهرة.

وقيل: عُني بالقرى التي بُورك فيها بيت المقدس.

وقوله: ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ يعني: قرى متصلة، وهي قرى عربية.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن الحسن البصري في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ قال: قرى متواصلة، قال: كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية ويروح فيأوي إلى قرية أخرى.

قال: وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها، ثم تمتهن بمغزلها، فلا تأتي بيتها حتى يمتلىء من كل الثمار.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ قال: كان بين قريتهم وبين الشأم قرى ظاهرة، قال: إن كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها، تروح من قرية وتغدوها، وتبيت في قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشأم.

وقوله: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل وقرية إلى قرية، لا ينزلون إلا فى قرية ولا يغدون إلا من قرية.

وقوله: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم والقرى التي باركنا فيها ليالي وأياما آمنين لا تخافون جوعًا ولا عطشًا، ولا من أحد ظلمًا.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ لا يخافون ظلمًا ولا جوعًا، وإنما يغدون فيقيلون، ويروحون فيبيتون في قرية أهل جنة ونهر، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها، وتمتهن بيدها، فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئًا، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادًا ولا سقاء مما بسط للقوم.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ قال: ليس فيها خوف.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغِبْطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع

كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

﴿قُرًى ظَـٰهِرَةً﴾ أي: بينة واضحة، يعرفها المسافرون، يَقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى؛ ولهذا قال: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه، ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ أي: الأمن حاصل لهم في سيرهم ليلًا ونهارًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي جعلنا السير بين قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية أي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيل في قرية والمبيت في قرية أخرى وانما يبالغ الإنسان في السير لعدم الزاد والماء ولخوف الطريق فإذا وجد الزاد والأمن لم يحمل على نفسه المشقة ونزل أينما أراد ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا﴾ أي وقلنا لهم سيروا فيها أي في هذه المسافة فهو أمر تمكين أي كانوا يسيرون فيها إلى مقاصدهم إذا أرادوا آمنين فهو أمر بمعنى الخبر وفيه إضمار القول ﴿لَيَالِىَ وَأَيَّامًا﴾ ظرفان ﴿ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ نصب على الحال وقال: ليالي وأيامًا بلفظ النكرة تنبيها على قصر أسفارهم أي كانوا لا يحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون إليه قال قتادة: كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء وكانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضًا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا

يحركه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾.

ج: إيضاحه - والله أعلم - أن قوم سبأ سئموا النعيم الذي كانوا فيه، ولم يقدموا شكرًا لله على ما أنعم به عليهم وتفضل، فبدلاً من أن يكونوا مستريحين في أسفارهم، طلبوا أن تكون هناك مسافات بعيدة بين الاستراحات حتى يجمعوا الحطب وينضجوا اللحم ويتعبوا في ذلك فيشعرون - بزعمهم - بالتلذذ مع التعب والمشقة، فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ أي: اجعل بين هذه الاستراحات والقرى مسافات كبيرة بدلاً من أن تكون قرى متقاربة، وظلموا أنفسهم وشقوا عليها بهذا الطلب، وكذا ظلموا أنفسهم بانهماكهم في المعاصي والمحرمات والكفر فشتت الله شملهم وفرّق الله جمعهم، وجعلهم عبرة يعتبر بها مريد الاعتبار، وجعلهم أحاديث على ألسنة الناس فكان الشخص يقول للآخر شتتك الله كما شتت قوم سبأ، ومزقك الله كما مزقهم، ونحو ذلك، والله أعلم.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بعد أن صوَّب قراءة باعد ورجحها على (بعِّد):

فإذا كان هو الصواب من القراءة، فتأويل الكلام: فقالوا: يا ربنا باعد بين أسفارنا؛ فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز، لنركب فيها الرواحل،

MostafaLabiy.com

ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة، كما عجل للقائلين ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة.

وقال الطبري:

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال ثنا عبثر، قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه الآية ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قال: كانت لهم قرى متصلة باليمن، كان بعضها ينظر إلى بعض، فبطروا ذلك، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، قال: فأرسل الله عليهم سيل العرم، وجعل طعامهم أثلًا وخمطًا وشيئًا من سدر قليل.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله، قال الله: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد... حتى نبيت في الفلوات والصحارى فظلموا أنفسهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وكان ظلمهم إياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يقول: صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السب، فيقال: تفرق القوم أيادي سبأ، وأيدي سبأ إذا تفرقوا وتقطعوا.

وقوله: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ يقول: وقطعناهم في البلاد كل مقطع.

Mostafa Adly.com

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ قال قتادة: قال عامر الشعبي: أما غسان فقد لحقوا بالشأم، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾، وقرأ آخرون: ﴿بعِّد بين أسفارنا﴾، وذلك أنهم بَطِروا هذه النعمة -كما قاله ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وغير واحد- وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحَرُور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة؛ ولهذا قال لهم: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ﴾ [القصص: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢]. وقال في حق هؤلاء: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: بكفرهم، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ﴾ أي: جعلناهم حديثا للناس، وَسمَرًا يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرّق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا؛ ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا: «تفرقوا أيدي سبأ» «وأيادي سبأ» و«تفرقوا شَذَرَ

مَذَرَ».

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إن في الذي حدث لقوم سبأ من تبديل النعم إلى نقم، ومن الاستقرار والأمان إلى خوفٍ وتشرد وتمزق في البلاد، إلى غير ذلك مما حلَّ بهم، إن في ذلك لدلالات يستدل بها الصبار الذي يصبر على أوامر الله ويجتنب مناهيه، يستدل بها على فضل طاعته لربه واستقامته على أمره، وصبره على ما يحلُّ به من بلاء، وما يؤمر به من الطاعات، وامتناعه عما نُهِيَ عنه من المحظورات.

وكذا فيما حلَّ بقوم سبأ آيات لكل شكور حتى يحافظ على نعم الله التي أعطاه الله إياها ويزداد شكرًا ولا يكفرها ولا يجحدها.

هذا، وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ يبين الحال التي عليها المؤمن، فحاله دائرٌ بين الصبر والشكر إن ابتلي صبر، وإن أنعمَ الله عليه شكر.

كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيرًا، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له؛ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»[1].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تمزيقناهم كل ممزق لآيات، يقول: لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته إذا

(١) مسلم بنحوه (٢٩٩٩).

امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ أي: إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبةً على ما ارتكبوه من الكفر والآثام -لعبرةً ودلالةً لكل عبد صبار على المصائب، شكور على النعم.

❁ ❁ ❁

س: ما هذا الظن الذي ظنَّه إبليس بالقوم وحققه؟

ج: ذلك هو قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، وقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قال الله: ما كان إلا ظنًّا ظنه، والله لا يصدق كاذبًا ولا يكذب صادقًا.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قال: أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم عليَّ وفضلتهم وشرفتهم لا تجد أكثرهم شاكرين، وكان ذلك ظنًّا منه بغير علم، فقال الله: ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

Mostafa Adawy.com

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن إبليس ظن ببني آدم ظنًّا، وهو أنه سيغويهم أجمعين إلا عباد الله المخلصين، ظنَّ بهم ذلك وأقسم على هذا الظن قائلًا: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣]، ثم سعى لتحقيق ما أقسم عليه فأغوى بني آدم - إلا من رحم الله وعصم - وكان ممن أغواهم قوم سبأ حقق فيهم إبليس ما ظنه ببني آدم، وحقق فيهم ما أقسم عليه لربه ﷻ فكفروا وجحدوا إلا فريقًا من أهل الإيمان.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ فقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بتشديد الدال من صدق، بمعنى أنه قال ظنا منه ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧]، وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣] ثم صدق ظنه ذلك فيهم فحقق ذلك بهم، وباتباعهم إياه.

ثم قال:

ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط عقوبة منا لهم، ظنا غير يقين، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله فصدق ظنه عليهم بإغوائه إياهم حتى أطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس.

MostafaLadv.com

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قيل: كيف علم إبليس صدق ظنه وهو لا يعلم الغيب قيل له: لما نفذ له في آدم ما نفذ غلب على ظنه أنه ينفذ له مثل ذلك في ذريته وقد وقع له تحقيق ما ظن وجواب آخر وهو ما أجيب من قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤] فأعطي القوة والاستطاعة فظن أنه يملكهم كلهم بذلك فلما رأى أنه تاب على آدم وأنه سيكون له نسل يتبعونه إلى الجنة وقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢] علم أن له تبعا ولآدم تبعًا فظن أن تبعه أكثر من تبع آدم لما وضع في يديه من سلطان الشهوات ووضعت الشهوات في أجواف الآدميين فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في أعينهم تلك الشهوات ومدهم إليها بالأماني والخدائع فصدق عليهم الظن الذي ظنه والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾.

ج: المعنى إجمالاً، وما كان لإبليس على قوم سبأ ولا على غيرهم من تسلط بسيف ولا بحجة إلا بتسليطنا إياه عليهم لنعلم من يتبع إبليس ممن يكذبونه علمًا ينبني عليه الثواب والعقاب، لنعلم أهل الإيمان الذي صدقوا وعد الله وآمنوا به وبرسله، ولنعلم أهل الشك والريب والتكذيب الذين هم مرتابون في قيام الساعة متشككون في وقوعها، وربك قد حفظ كل شيء من

MOSTAFALOBY.COM

عباده ومن خلقه ومن أعمالهم، وسيوافيهم بأعمالهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها إلا بتسليطناه عليهم؛ ليعلم حزبنا وأولياؤنا ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يقول: من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ﴿مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾ فلا يوقن بالمعاد، ولا يصدق بثواب ولا عقاب.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ قال: قال الحسن: والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط، إلا أماني وغرورا دعاهم إليها.

عن قتادة أيضًا قوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾ قال: وإنما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: عنى بقوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ إلا لنعلم ذلك موجودًا ظاهرًا ليستحق به الثواب أو العقاب.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ٢١﴾ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَفِيظٞ ٢١﴾ لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مُجَازٍ جميعهم يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من خير وشر.

❁ ❁ ❁

س: نوقن بأن الله عَزَّوَجَلَّ بكل شيء عليم، فكيف يوجَّه قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ

MOSTAFAADW.COM

مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ ﴾؟

ج: ذهب فريق من أهل العلم إلى أن معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ إلا لنظهر، وعليه فلا إشكال وذهب البعض إلى قراءة ذكرها القرطبي عن الزهري وهي ﴿إلا ليُعلَم﴾ على ما لم يسم فاعله، وعلى ذلك فلا إشكال أيضًا.

ووجه ثالث حاصله أن المراد بالعلم العلم الظاهر الذي يقع به الثواب والعقاب، وقد استرسل القرطبي في ذِكر ذلك فقال:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي لم يقهرهم إبليس على الكفر وإنما كان منه الدعاء والتزيين والسلطان: القوة وقيل الحجة أي لم تكن له حجة يستتبعهم بها وإنما اتبعوه بشهوة وتقليد وهوى نفس لا عن حجة ودليل ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يريد علم الشهادة الذي يقع به الثواب والعقاب فأما الغيب فقد علمه تبارك وتعالى ومذهب الفراء أن يكون المعنى: إلا لنعلم ذلك عندكم كما قال: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ [النحل: ٢٧] على قولكم وعندكم وليس قوله: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ﴾ جواب ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ في ظاهره إنما هو محمول على المعنى أي وما جعلنا له سلطانا إلا لنعلم فالاستثناء منقطع أي لا سلطان له عليهم ولكنا ابتليناهم بوسوسته لنعلم فـ﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن وقيل هو متصل أي ما كان له عليهم من سلطان غير أنا سلطناه عليهم ليتم الابتلاء وقيل: كان زائدة أي وما له عليهم من سلطان كقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي أنتم خير أمة وقيل: لما اتصل طرف منه بقصة سبأ قال: وما كان لإبليس على أولئك الكفار من سلطان وقيل: وما كان له في قضائنا السابق سلطان عليهم وقيل: إلا لنعلم إلا لنظهر

وهو كما تقول: النار تحرق الحطب فيقول آخر لا بل الحطب يحرق النار فيقول الأول تعال حتى نجرب النار والحطب لنعلم أيهما يحرق صاحبه أي لنظهر ذلك وإن كان معلوما لهم ذلك وقيل: إلا لتعلموا أنتم وقيل: أي ليعلم أولياؤنا والملائكة كقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ١٣٣] أي يحاربون أولياء الله ورسوله وقيل: أي ليميز كقوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧] وقد مضى هذا المعنى في البقرة وغيرها وقرأ الزهري: إلا ليعلم على ما لم يسم فاعله ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ أي أنه عالم بكل شيء وقيل: يحفظ كل شيء على العبد حتى يجازيه عليه.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALDW.COM

قال الله تعالى:

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿شِرۡكٍ -ظَهِيرٍ -فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(شِرۡكٍ)	مشاركة في ملك السموات والأرض
(ظَهِيرٍ)	معاون
(فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ)	ذهب الفزع عنها - جُلِّي عنها وكشف عنها

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أما وقد علمتم يا أهل الشرك ما كان من أمر النبيين الكريمين داود وسليمان عليهما السلام، وكيف كان إكرامنا لهما، وكذا قد علمتم ما فعلنا بقوم سبأ، وما استطاع أحدٌ أن يمنع من إكرامنا، ولا أن يمنع من عقابنا فادعوا الذين عبدتموهم مع الله عز وجل كي يجلبوا لكم نفعًا أو يدفعوا عنكم ضرًّا، فلن تجدوا ذلك عندهم فهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، بل كل ما في السموات والأرض ملك لله عز وجل، وكذا فليس لهم نصيب من المشاركة، فلا هم ملاكٌ ولا هم شركاء لله عز وجل وما لله عز وجل منهم من معاون يعاونه، وبنحو هذا قال العلماء.

MOSTAFA-ATWI.COM

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا، داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاء لها إذ شكرانا، وذاك فعلنا بسبأ الذين فعلنا بهم، إذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا أيادينا، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس، فإن لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون؛ لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز، ثم وصف الذين يدعون من دون الله فقال: إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع، فكيف يكون إلها من كان كذلك.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشركة، لأن الأملاك في المملوكات لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسومًا، وإما مشاعًا، يقول: وآلهتهم التي يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، لا مشاعًا ولا مقسومًا، فكيف يكون من كان هكذا شريكًا لمن له ملك جميع ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شيء منه مشاعًا ولا مقسومًا، فيقال: هو لك شريك من أجل أنه أعان وإن لم

يكن له ملك شيء منه.

قولـه: وأورد بإسـنادٍ حسـن عـن قتـادة: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ ﴾ يقول: ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم ﴾ من الذين يدعون من دون الله ﴿مِّن ظَهِيرٖ﴾ من عون بشيء.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يبَيّن تعالى أنه الإله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فقال: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: من الآلهة التي عبدت من دونه ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣﴾ [فاطر: ١٣].

وقولـه: ﴿وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ ﴾ أي: لا يملكون شيئا استقلالا ولا على سبيل الشركة، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ أي: وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه.

قال قتادة في قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾، من عون يعينه بشيء.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي هذا الذي مضى ذكره من أمر داود وسليمان وقصة سبأ من آثار قدرتي فقل يا محمد لهؤلاء المشركين هل عند شركائكم قدرة على شيء من ذلك وهذا خطاب توبيخ وفيه إضمار: أي ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة لكم من دون الله لتنفعكم أو لتدفع عنكم ما

قضاه الله تبارك وتعالى عليكم فإنهم لا يملكون ذلك و﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي ما لله من هؤلاء من معين على خلق شيء بل الله المنفرد بالإيجاد فهو الذي يعبد وعبادة غيره محال.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ولا يتقبل شفاعة شافع إلا بإذن الله، فلن يشفع شافع إلا بإذن الله، فلن يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه كما قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وكما قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعة شافع كائنًا من كان الشافع لمن شفع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدًا إلا لمن أذن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم. فـ«من» إذ كان هذا معنى الكلام التي في قوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾: المشفوع له.

MOSTAFALADAWY.COM

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾ فقرأ ذلك عامة القراء بضم الألف من ﴿أُذن له﴾ على وجه ما لم يسم فاعله، وقرأه بعض الكوفيين ﴿أَذِنَ لَهُۥ﴾ على اختلاف أيضًا عنه فيه، بمعنى أذن الله له.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أي: لعظمته وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة.

❁ ❁ ❁

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: أولاً: معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: ذهب عنها الفزع والخوف.

وقد قيل: إن ذلك بعد إغشاء حصل لهم من شدة الفزع والخوف.

ثانيًا: الذين فزِّع عن قلوبهم عند أكثر العلماء هم الملائكة، وإن كان ثَمَّ قولٌ آخر أنهم المشركون.

ثالثًا: متى فُزِّع عن قلوبهم؟ أكثر العلماء على أن ذلك بعد القضاء الذي يقضيه الله ﷻ بعد الأمر الذي يأمر به، وقد أخرج البخاري[1] في صحيحه عند

(١) البخاري (حديث ٤٨٠٠).

MOSTAFAADLY.COM

تفسير هذه الآية الكريمة من كتاب التفسير من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

إن نبي الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها، وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سُمِعَتْ من السماء**».

وأخرج مسلم[1] في صحيحه أن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية، إذا رمي بمثل هذا ؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال: الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به**

---

(١) مسلم (٢٢٢٩).

على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون».

وأورد الطبري من طريق الشعبي[١] عن ابن مسعود في هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ قال: إذا حدث أمر عند ذي العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾؟ قال: فيقول: من شاء قال الحق وهو العلي الكبير.

وأورد بإسناد صحيح عن مسروق قال: إذا حدث عند ذي العرش أمر سمعت الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا، قال: فيغشى عليهم، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فيقول من شاء الله الحق وهو العلي الكبير.

أما متى يُفزَّع عن قلوبهم فلأهل العلم أقوال لخصها الطبري بقوله:

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ يقول: حتى إذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب.

واختلف أهل التأويل في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟ وما السبب الذي من أجله فزع عن قلوبهم؟ فقال بعضهم: الذي فزع عن قلوبهم الملائكة، قالوا: وإنما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحي.

وقال آخرون ممن قال: الموصوفون بذلك الملائكة، إنما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ ...﴾ الآية، قال: يوحي الله إلى جبرائيل فتفرق الملائكة، أو تفزع مخافة

---

(١) وإن كان الشعبي لم يسمع من ابن مسعود، لكن له طرق أخر عند الطبري وغيره عن ابن مسعود.

أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جلي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

وقال آخرون: بل ذلك من فعل ملائكة السماوات إذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة.

وقال آخرون: بل الموصوفون بذلك المشركون، قالوا: وإنما يفزع الشيطان عن قلوبهم، قال: وإنما يقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ قال: فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم، وما كان يضلهم ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ قال: وهذا في بني آدم، وهذا عند الموت أقروا به حين لم ينفعهم الإقرار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكره الشعبي عن ابن مسعود لصحة الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ بتأييده. وإذ كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يشفع عنده، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه إذنه، حتى إذا فزع عن قلوبهم فجلي عنها، وكشف الفزع عنهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحق، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ على كل شيء ﴿ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ الذي لا شيء دونه. والعرب تستعمل «فزع» في معنيين فتقول للشجاع الذي به تنزل الأمور التي يفزع منها: هو مفزع، وتقول للجبان الذي يفزع من كل شيء: إنه لمفزع، وكذلك تقول للرجل الذي يقضي له الناس في الأمور بالغلبة على من نازله فيها: هو مغلب، وإذا أريد به هذا المعنى كان غالبًا، وتقول للرجل أيضا الذي

هو مغلوب أبدًا: مغلب.

واختار ابن كثير ما ذهب إليه الطبري فقال: وقد اختار ابن جرير القول الأول: أن الضمير عائد على الملائكة . هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار، ولنذكر منها طرفا يدل على غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ﴾. وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، فسمع أهل السموات كلامه، أرْعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال الفزع عنها.

فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ﴾ أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ .

وقال آخرون: بل معنى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا، ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة، قالوا: ماذا قال ربكم؟ فقيل لهم: الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا.

وأما وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ وقوله: ﴿لَهُۥٓ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ...﴾ فوجهه – والله أعلم – إن شفاعة هؤلاء الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم لا تُقبل ولا تنفع إلا بإذن الله فهؤلاء الملائكة الذين

MOSTAFA.ADAWY.COM

عبدهم أقوامٌ منكم وظنوا أيضًا أنهم يشفعون لهم، لا يشفعون إلا بإذن الله، ثم هذا حالهم عند سماع الأمر من الله، أنهم يُصابون بالفزع الشديد، يعتريهم الفزع الشديد، الذي هو إغشاءٌ أو شبه إغشاء فإذا صرف هذا عنهم قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فإذا كان هذا شأنهم فكيف يشفعون هم أو غيرهم لكم؟! والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي إن الشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨] والمعنى: أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ أي ماذا أمر الله به فيقولون لهم: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ وهو أنه أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ فله أن يحكم في عباده بما يريد ثم يجوز أن يكون هذا إذنًا لهم في الدنيا في شفاعة أقوام ويجوز أن يكون في الآخرة وفي الكلام إضمار أي ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ففزع لما ورد عليه من الإذن تهيبًا لكلام الله تعالى حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجاب بالانقياد وقيل: هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل أمر يأمر به الرب تعالى أي لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم اليوم فزعون مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ
هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

[سبأ: ٢٤-٣٠]

MOSTAFAALSAWY.COM

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿يَفْتَحُ - أَجْرَمْنَا - ٱلْفَتَّاحُ - أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ - كَآفَّةً﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أَجْرَمْنَا)	اكتسبنا من الأعمال
(يَفْتَحُ)	يقضي
(ٱلْفَتَّاحُ)	القاضي العليم بخلقه
﴿أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾	جعلتموها لله شريكة وعبدتموها مع الله
﴿كَآفَّةً﴾	عامة - كلهم

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿❁ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

ج: المعنى، قل يا رسول الله - لهؤلاء المشركين - على سبيل الاستفهام الذي يحمل معنى التقرير والتوبيخ والإلزام - من الذي يسوق لكم الرزق من السموات كالغيث الذي ينبت الله به الثمر ويحيي به الأرض بعد موتها، وكذا من الذي يخرج لكم الرزق من الأرض ومن ذلك الثمار والنبات والمعدن والكنوز ونحو ذلك، وكذا من يرزقكم هذه التجارات التي تتجرون، وغير

MOSTAFALADY.COM

ذلك من الأرزاق من البحار ونحوها، قل لهم ذلك فإن أجابوا بأن الله فاعلٌ ذلك بهم فالحمد لله قد أقروا وأُقيمت عليهم الحجة وإلا أمسكوا عن الجواب فقل لهم أنت يا رسول الله: إن الله هو الذي يرزقنا، وقل لهم: أحدنا بلا شك على حق، والآخر على باطل، فإما أن نكون نحن على هدى أو في ضلالٍ مبين، يعني بُعد عن الحق مُظهر لمن تأمله أن من هو عليه يُعدّ ضلالًا، وإما أن تكونوا أنتم على هدًى أو في ضلال مبين.

فإذا كنا نحن على هدى، والحمد لله نحن عليه، فأنتم إذن في ضلال مبين.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاحًا لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقواتكم، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم، وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثم ذكره، وهو: فإن قالوا: لا ندري، فقل: الذي يرزقكم ذلك الله وإنا أو إياكم أيها القوم لعلى هدى أو في ضلال مبين: يقول: قل لهم: إنا لعلى هدى أو في ضلال، أو إنكم على ضلال أو هدى.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ قال: قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين

لمهتدٍ.

وقد قال قوم: معنى ذلك: وإنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مقررًا تفرُّدَه بالخلق والرزق، وانفراده بالإلهية أيضا، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء والأرض -أي: بما ينزل من المطر وينبت من الزرع- إلا الله، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره.

وقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾: هذا من باب اللف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ لما ذكر أن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب قرر ذلك فقال: قل يا محمد للمشركين: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ أي من يخلق لكم هذه الأرزاق الكائنة من السموات أي عن المطر والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع والأرض أي الخارجة من الأرض عن الماء والنبات أي لا يمكنهم أن يقولوا هذا فعل آلهتنا فيقولون: لا ندري فقل: إن الله يفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم وإن قالوا: إن الله يرزقنا فقد تقررت الحجة بأنه الذي ينبغي أن يعبد ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ هذا على وجه

الإنصاف في الحجة كما يقول القائل: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وأن صاحبه كاذب والمعنى: ما نحن وأنتم على أمر واحد بل على أمرين متضادين وأحد الفريقين مهتدٍ وهو نحن والآخر ضال وهو أنتم فكذبهم بأحسن من تصريح التكذيب والمعنى: أنتم الضالون حين أشركتم بالذي يرزقكم من السموات والأرض.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين نعمه قل لهم: لا تُسألون يوم القيامة عن أعمالنا التي عملناها في الدنيا وعن كسبنا السيئ أو الحسن الذي اكتسبناه، وكذا فنحن لن نُسأل عن أعمالكم السيئة التي عملتموها بل لكل منا عمله، وسيحاسب عليه، ولكل منا اعتقاده وسيحاسب على اعتقاده، وكذا على أقواله، وقل يا رسول الله لهؤلاء إن ربنا سيجمع بيننا يوم القيامة ثم يقضي بيننا بالحق، وهو القاضي العليم بما يقضي فيه وبه لا يخفى عليه من أمري وأمركم شيء، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين: أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال، لا تسألون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم وركبنا

MOSTAFALADAWY.COM

من إثم، ولا نسأل نحن عما تعملون أنتم من عمل، قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق. يقول: ثم يقضي بيننا بالعدل، فيتبين عند ذلك المهتدي منا من الضال ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عنه خافية، ولا يحتاج إلى شهود تعرفه المحق من المبطل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾: معناه التبري منهم، أي: لستم منا ولا نحن منكم، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم، وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم بُرآء منا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون].

وقوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ أي: يوم القيامة، يجمع الخلائق في صعيد واحد، ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾، أي: يحكم بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤-١٦]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ أي: الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور.

Nostrapdf.com

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولـه تعـالى: ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ﴾ أي اكتسبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ ﴾ نحن أيضًا ﴿ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ أي إنما أقصد بما أدعوكم إليه الخير لكم لا أنه ينالني ضرر كفركم وهذا كما قال: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون: ٦] والله مجازي الجميع. فهذه آية مهادنة، ومتاركة وهي منسوخة بالسيف وقيل: نزل هذا قبل آية السيف.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ يريد يوم القيامة ﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي يقضي فيثيب المهتدي ويعاقب الضال ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ﴾ أي القاضي بالحق ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴾ بأحوال الخلق وهذا كله منسوخ بآية السيف.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى: أروني هذه الآلهة التي عبدتموها مع الله وجعلتموها شريكةً لله ﷻ، ماذا خلقت هذه الآلهة من السموات والأرض، وهل لها من مشاركة أو شراكة في ملك السموات والأرض؟ ﴿كَلَّاۚ﴾ ليس الأمر كما زعمتم أو كما توهمتم، فهذه الآلهة لا تملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وما لها من شراكة في ملك السموات والأرض.

بل الله ﷻ هو مالك السموات والأرض هو العزيز الذي لا يغلب، ولا

يمنع من شيء أراده، الحكيم فيما يشرع وفيما يصنع، وفي كل شيء.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أروني أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات؟ ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: كذبوا ليس الأمر كما وصفوا، ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكا، بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه، العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادًا وصيَّرتموها له عدْلًا. ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس له نظير ولا نَديد، ولا شريك ولا عديل، ولهذا قال: ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾: أي: الواحد الأحد الذي لا شريك له ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ أي: ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء، وَغَلَبت كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، وشرعه وقدره، تعالى وتقدس.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ يكون ﴿أَرُونِيَ﴾ هنا من رؤية القلب فيكون ﴿شُرَكَآءَ﴾ المفعول الثالث، أي عرفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله ﷻ وهل شاركت في خلق شيء، فبينوا ما

Nostrapdf.com

هو؟ وإلا فلم تعبدونها. ويجوز أن تكون من رؤية البصر فيكون ﴿شُرَكَآءَ﴾ حالًا ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما زعمتم وقيل: إن ﴿كَلَّا﴾ رد لجوابهم المحذوف، كأنه قال: أروني الذين ألحقتم به شركاء قالوا: هي الأصنام فقال كلا أي ليس له شركاء ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

س: اذكر بعض الأدلة على عموم بعثة النبي ﷺ أي أنه رسول لقومه ولمن جاءوا من بعدهم، وكذا رسول للإنس والجن على السواء.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان: ١]

وفي الصحيحين[1] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة».

وفي رواية: «بعثت إلى الأسود والأحمر».

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٨ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وما أرسلناك إلا للناس كلهم، وكذا الإنس

(١) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

MOSTAFALABWY.COM

والجن بشيرًا لمن أطاع بالجنة، ونذيرًا لمن عصى بالنار، ولكن أكثر الناس لا يصدقون برسالتك ولا بما جئت به.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا من أطاعك، ونذيرًا من كذبك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قال: أرسل الله محمدًا إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله أطوعهم له.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: أي: إلا إلى جميع الخلق من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ أي تبشر مَنْ أطاعك بالجنة، وتنذر مَنْ عصاك بالنار.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ أي وما أرسلناك

إلا للناس كافة أي عامة ففي الكلام تقديم وتأخير، وقال الزجاج: أي وما أرسلناك إلا جامعا للناس بالإنذار والإبلاغ والكافة بمعنى الجامع وقيل: معناه كافًّا للناس تكفهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام والهاء للمبالغة وقيل: أي إلا ذا كافة فحذف المضاف أي ذا منع للناس من أن يشذوا عن تبليغك أو ذا منع لهم من الكفر ومنه: كف الثوب لأنه ضم طرفيه ﴿بَشِيرًا﴾ أي بالجنة لمن أطاع ﴿وَنَذِيرًا﴾ من النار لمن كفر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ما عند الله وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت أكثر من المؤمنين عددًا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ويقول أهل الشرك لرسول الله ﷺ ولأهل الإيمان متىٰ هذا الوعد بقيام الساعة؟ متىٰ تقوم القيامة إن كنتم صادقين في دعواكم أنها ستقوم وستأتي؟ قل لهؤلاء: لكم يا أهل الشرك ميعاد تنتهي فيه آجالكم وتموتون لا تستأخرون عن هذا الميعاد ساعة ولا تستقدمون، وعندها يأتيكم الخبر اليقين الذي لا تستطيعون معه تكذيبًا لما أخبرناكم به، والله أعلم.

وبنحوه هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار

nosrabbaniyy.com

وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ جائيا، وفي أي وقت هو كائن ﴿إِن كُنتُمْ﴾ فيما تعدوننا من ذلك ﴿صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أنه كائن، قال الله لنبيه: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿لَّكُمْ﴾ أيها القوم ﴿مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ هو آتيكم ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ﴾ إذا جاءكم ﴿سَاعَةً﴾ فتنظروا للتوبة والإنابة ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ قبله بالعذاب؛ لأن الله جعل لكم ذلك أجلًا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مخبرًا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾، كما قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ الآية [الشورى: ١٨].

ثم قال: ﴿قُل لَّكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: لكم ميعاد مؤجل معدود محرر، لا يزداد ولا ينتقص، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤]، وقال: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾.

[هود: ١٠٤، ١٠٥]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعني موعدكم لنا بقيام الساعة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فقال الله تعالى: ﴿قُل﴾ لهم يا محمد: ﴿لَّكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فلا يغرنكم تأخيره والميعاد الميقات ويعني بهذا الميعاد وقت البعث وقيل: وقت حضور الموت أي لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي وقيل: أراد بهذا اليوم يوم

Mostafa Darwish

بدر؛ لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

قال الله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣ ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣]

MOSTAFAALAWY.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ – مَوْقُوفُونَ – يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ – ٱسْتُضْعِفُوا۟ – ٱسْتَكْبَرُوا۟ – صَدَدْنَٰكُمْ – ٱلْهُدَىٰ – مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ – أَندَادًا – وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ – ٱلْأَغْلَٰلَ – أَعْنَاقِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ)	بالكتب التي تقدمته (وهي التوراة والإنجيل والزبور والصحف وعموم الكتب التي أنزلها الله)
(مَوْقُوفُونَ)	محبوسون
(يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ)	يرد بعضهم على بعض ويجادل بعضهم بعضًا
﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾	الذين كانوا في الدنيا مستضعفين مستذلين
﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾	الذين كانوا في الدنيا أهل كبر وتجبر وتسلط
﴿صَدَدْنَٰكُمْ﴾	منعناكم
﴿ٱلْهُدَىٰ﴾	الإيمان
﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	مكركم بالليل والنهار، والمكر: الخداع والتحايل والتضليل
﴿أَندَادًا﴾	أمثالًا
﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾	ندموا أشد الندم

Mostafalabib.com

﴿ٱلْأَغْلَٰلَ﴾	الغل: هو ما تربط به الأيدي إذا ضمت إلى الرقبة، فاليد تضم إلى الرقبة وتحيط بهما حلقة هي الغل
﴿أَعْنَاقِ﴾	رقاب

❁ ❁ ❁

س: أين جواب قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؟

ج: هو محذوف مفهوم من السياق وكأن المعنى - والله أعلم - ولو ترى أهل الظلم وهم محبوسون عند الله يوم القيامة ويتجادل بعضهم مع بعض ويتلاومون فيما بينهم أشد التلاوم وأشد الجدال لو تراهم لرأيت منظرًا بشعًا مؤثرًا لرأيت منظرًا تقشعر منه الجلود وتفزع منه العقول وتضطرب منه الأفئدة، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: كيف قيل: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ وهم قد أعلنوا عن ندمهم في عدة آيات كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، وكما في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]؟

ج: لأهل العلم هاهنا أقوال:

أحدها: أن أسروا بمعنى أظهروا وأبدوا قالوا وكلمة ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ من الأضداد، يعنون أنها تأتي أحيانًا بمعنى الإخفاء، وأحيانًا بمعنى الإظهار والإبداء.

الثاني: أنهم أظهروا التنادم فيما بينهم كما قال تعالى في آية مشابهة:

Mostafa-dw.com

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٣].

الثالث: أن مواقف القيامة تتعدد فأحيانًا يُبدون التنادم وأحيانًا يُسرّ به بعضهم إلى بعض ويُسر به بعضهم في النفس، وسيأتي مزيد إن شاء الله في هذا الباب.

❁ ❁ ❁

س: وضح المعنى الإجمالي للآيات المباركات ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ إلى قوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

ج: هذا بيانٌ لحال الكفار في الدنيا وما انتهى إليه مصيرهم يوم القيامة على وجه الإجمال، وحاصل المعنى - والله أعلم - أن أهل الكفر والجحود والنكران قالوا في الدنيا لرسول الله ﷺ وقال ذلك من بعدهم من أهل الكفر، قالوا لأهل الإيمان: لن نؤمن بهذا القرآن، لن نصدق به، لن نصدق أنه من عند الله، ولن نؤمن أيضًا بالكتب السابقة (كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب)، فالله ما أنزل على بشرٍ من شيء كذا قالوا، فلو رأيت حال هؤلاء المكذبين يوم القيامة لرأيت منظرًا عظيمًا وتندمًا شديدًا، لو تراهم وهم محبوسون عند الله ﷻ كي يدفع بهم إلى النار، لو رأيتهم وهم يتلاومون ويتجادلون ويرد بعضهم على بعض، لو رأيت الذين كانوا في الدنيا أتباعًا، وكانوا في الدنيا على مناهج ساداتهم من الكفر والضلال، لو رأيت هؤلاء الذين كانوا يستضعفون في الدنيا، وهم يحاجون أهل الاستكبار في الدنيا، يقولون لهم لولا أنتم لكنا مؤمنين، فأنتم الذين صرفتمونا عن الإيمان وحملتمونا على التكذيب، فيرد عليهم أهل الاستكبار، الذين كانوا في الدنيا مستكبرين، أنحن صرفناكم عن

MostafaAbdo.com

الإيمان، وقد جاءكم؟! كلا ما صرفناكم بل أنتم في أنفسكم كنتم أهل إجرام مُجترمين للذنوب والآثام، فيرد عليهم المستضعفون بقولهم: بل مكركم بالليل والنهار ومكركم وخداعكم لنا ليلاً ونهارًا وتضليلكم لنا وتمويهكم ليلاً ونهارًا، وأنتم تأمروننا بالكفر بالله وجحود وحدانيته، وتأمروننا بالشرك به، واتخاذ آلهة معه نعبدها كما نعبده، كان هذا دأبكم معنا، وأظهروا حينئذ التندم أشد التندم، ومنهم من أخفاه في نفسه لما رأوا العذاب ورأوا الأغلال قد جعلت في الرقاب مع الأيدي، فالأيدي ضُمَّت إلى الرقاب وأحاطت بها الأغلال، الأغلال أحاطت بالرقاب مع الأيدي، فهل يجزى هؤلاء إلا بما كانوا يعملون، كلا فربنا ليس بظلام للعبيد، وإنما تجزى كلُّ نفس بما كسبت كما في الحديث القدسي فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من مشركي العرب ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ الذي جاءنا به محمد ﷺ ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه.

عن قتادة قوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال: قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب والأنبياء.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يتلاومون، يحاور بعضهم بعضًا؛ يقول المستضعفون - كانوا في الدنيا- للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون: لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكنا مؤمنين بالله وآياته.

MOSTAFALADAWY.COM

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ في الدنيا، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟﴾ فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم إذ قالوا لهم ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ ومنعناكم من اتباع الحق ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ من عند الله يبين لكم ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ من الكفرة بالله في الدنيا، فكانوا أتباعا لرؤسائهم في الضلالة ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ فيها، فكانوا لهم رؤساء ﴿بَلْ مَكْرُ﴾ كم لنا بـ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ صدنا عن الهدى ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ﴾ أمثالًا وأشباهًا في العبادة والألوهة، فأضيف المكر إلى الليل والنهار. والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل والنهار، على اتساع العرب في الذي قد عرف معناها فيه من منطقها، من نقل صفة الشيء إلى غيره، فتقول للرجل: يا فلان نهارك صائم وليلك قائم، وكما قال الشاعر:

ونمت وما ليل المطي بنائم

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ يقول: بل مكركم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله.

وقوله: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ يقول: حين تأمروننا أن نكفر بالله.

وقوله: ﴿وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ يقول: شركاء.

قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ يقول: وندموا على ما فرَّطوا من طاعة الله في الدنيا حين عاينوا عذاب الله اذي أعدَّه لهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ بينهم ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وغلت أيدي الكافرين بالله في جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار جهنم، جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون، يقول جلَّ ثناؤه: ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابًا لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها، ومكافأة لهم عليها.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد؛ ولهذا قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾. قال الله تعالى متهددا لهم ومتوعدا، ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ منهم وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ وهم قادتهم وسادتهم: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: لولا أنتم تصدونا، لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤونا به. فقال لهم القادة والسادة، وهم الذين استكبروا: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنَّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء، لشهوتكم واختياركم لذلك؛

ولهذا قالوا: ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: بل كنتم تمكرون بنا ليلًا ونهارًا، وتَغُرّونا وتُمَنّونا، وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء، فإذا جميع ذلك باطل وكَذِبٌ ومَيْن.

قال قتادة، وابن زيد: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يقول: بل مكرهم بالليل والنهار. وكذا قال مالك، عن زيد بن أسلم: مكرهم بالليل والنهار.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ أي نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شُبَهًا وأشياءَ من المحال تضلونا بها ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي: الجميع من السادة والأتباع، كُلٌّ ندم على ما سَلَف منه.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ أي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كُلٌّ بحسبه، للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع بحسبهم ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يريد كفار قريش ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال سعيد عن قتادة: ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل من الآخرة. وقال ابن جريج: قائل ذلك أبو جهل بن هشام. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسلوه فلما سألوه فوافق ما قال أهل الكتاب قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي أنزل قبله من التوراة والإنجيل بل نكفر بالجميع، وكانوا قبل ذلك يراجعون أهل الكتاب ويحتجون بقولهم فظهر بهذا تناقضهم وقلة

علمهم. ثم أخبر الله تبارك وتعالى عن حالهم فيما لهم فقال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي محبوسون في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا في الدنيا أخلاء متناصرين وجواب «لو» محذوف أي لرأيت أمرًا هائلًا فظيعًا ثم ذكر أي شيء يرجع من القول بينهم قال: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ في الدنيا من الكافرين ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ وهم القادة والرؤساء ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: أغويتمونا وأضللتمونا، واللغة الفصيحة لولا أنتم ومن العرب من يقول: لولاكم حكاها سيبويه تكون لولا تخفض المضمر ويرتفع المظهر بعدها بالابتداء ويحذف خبره. ومحمد بن يزيدٍ يقول: لا يجوز لولاكم لأن المضمر عقيب المظهر فلما كان المظهر مرفوعًا بالإجماع وجب أن يكون المضمر أيضًا مرفوعًا ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ هو استفهام بمعنى الإنكار أي ما رددناكم نحن عن الهدى ولا أكرهناكم ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ أي مشركين مصرين على الكفر ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ المكر أصله في كلام العرب الاحتيال والخديعة وقد مكر به يمكر فهو ماكر ومكار قال الأخفش: هو على تقدير: هذا مكر الليل والنهار. قال النحاس: والمعنى - والله أعلم - بل مكركم في الليل والنهار أي مسارَّتكم إيانا ودعاؤكم لنا إلى الكفر حملنا على هذا. وقال سفيان الثوري: بل عملكم في الليل والنهار قتادة: بل مكركم بالليل والنهار صدنا فأضيف المكر إليهما لوقوعه فيهما وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] فأضاف الأجل إلى نفسه ثم قال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ

سَاعَةً﴾ [الأعراف : ٣٤] إذ كان الأجل لهم. وهذا من قبيل قولك : ليله قائم ونهاره صائم قال المبرد : أي بل مكركم الليل والنهار كما تقول العرب : نهاره صائم وليله قائم. وأنشد لجرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

وأنشد سيبويه :

فنام ليلي وتجلى همي

أي نمت فيه ونظيره : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [غافر : ٦١] وقرأ قتادة : (**بل مكر الليل والنهار**) بتنوين (**مكر**) ونصب (**الليل والنهار**) والتقدير : بل مكر كائن في الليل والنهار فحذف وقرأ سعيد بن جبير : (**بل مكرٌ**) بفتح الكاف وشد الراء بمعنى الكرور، وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف. ويجوز أن يرتفع بفعل مضمر دل عليه ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ﴾ كأنهم لما قالوا لهم أنحن صددناكم عن الهدى قالوا بل صدنا مكر الليل والنهار وروي عن سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال : مر الليل والنهار عليهم فغفلوا وقيل : طول السلامة فيهما كقوله : ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد : ١٦] وقرأ راشد (**بل مكرَّ الليل والنهار**) بالنصب كما تقول : رأيته مقدم الحاج، وإنما يجوز هذا فيما يعرف لو قلت : رأيته مقدم زيد لم يجز ذكره النحاس.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي أشباهًا وأمثالًا ونظراء قال محمد بن يزيد : فلان ند فلان أي مثله ويقال نديد وأنشد :

أينما تجعلون إلي ندا وما أنتم لذي حسب نديد

وقد مضى هذا في البقرة ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أي أظهروها وهو من الأضداد

يكون بمعنى الإخفاء والإبداء. قال امرؤ القيس:

تجاوزت أحراسا وأهوال معشر علي حراصا لو يسرون مقتلي

وروي «يشرون» وقيل: وأسروا الندامة أي تبينت الندامة في أسرار وجوههم قيل: الندامة لا تظهر وإنما تكون في القلب وإنما يظهر ما يتولد عنها حسبما تقدم بيانه في سورة يونس وآل عمران، وقيل: إظهارهم الندامة قولهم: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء: ١٠٢] وقيل: أسروا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا القول بها كما قال: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾﴾ [طه: ٦٢] ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأغلال جمع غل يقال: في رقبته غل من حديد. ومنه قيل للمرأة السيئة الخلق: غل قمل وأصله أن الغل كان يكون من قد وعليه شعر فيقمل وغللت يده إلى عنقه وقد غل فهو مغلول يقال: ماله أل وغل. والغل أيضا والغلة: حرارة العطش، وكذلك الغليل يقال منه: غل الرجل يغل غللا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهري. أي جعلت الجوامع في أعناق التابعين. والمتبوعين قيل من غير هؤلاء الفريقين. وقيل يرجع ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إليهم وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ﴾ بعد ذلك في أعناق سائر الكفار ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في الدنيا.

❁ ❁ ❁

Nostrabook.com

قال الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ ﴾ [سبأ: ٣٤-٣٩]

MOSTAFAALDIB.COM

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿نَّذِيرٍ -مُتۡرَفُوهَآ -يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ -وَيَقۡدِرُ -زُلۡفَىٰٓ -جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ -ٱلۡغُرُفَٰتِ -يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا -مُعَٰجِزِينَ -مُحۡضَرُونَ -يُخۡلِفُهُۥ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(نَّذِيرٍ)	نبي - رسول الله
(مُتۡرَفُوهَآ)	قادتها وكبراؤها وأصحاب المال والجاه فيها
(يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ)	يوسع - يكثر من العطاء
﴿وَيَقۡدِرُ﴾	يضيق - يُصيب بالفقر
﴿زُلۡفَىٰٓ﴾	قربةً - تقريبًا
﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾	الجزاء المضاعف
﴿ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾	جمع غرفة، وهي غرفٌ في الجنان
﴿يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾	يجدون ويجتهدون لإبطال حججنا
﴿مُعَٰجِزِينَ﴾	ظانين أنهم يعجزوننا
﴿مُحۡضَرُونَ﴾	متواجدون في العذاب
﴿يُخۡلِفُهُۥ﴾	يأتي بخير منه

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾.

MOSTAFALAW.COM

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وما أرسلنا من قبلك يا رسول الله في قرية إلا عارضه أهل المال والجاه والسلطة فيها، عارضه كبراؤها وشريروها قائلين: إنما بالذي أرسلتم به من الدعوة إلى توحيد الله وترك عبادة ما سواه، كافرون جاحدون لكل ما تدعوننا إليه من هذا، جاحدون للقرآن منكرون أنه من عند الله، منكرون لجعل الآلهة إلهًا واحدًا منكرون للبعث الذي أخبرتمونا عن وقوعه.. منكرون لكل ما جئتمونا به، وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرًا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا، إلا قال كبراؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له: إنا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، كافرون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾ قال: هم رؤوسهم وقادتهم في الشر.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى مسليًا لنبيه، وآمرًا له بالتأسي بمن قبله من الرسل، ومخبره بأنه ما بعث نبيًا في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤهم، كما قال قوم نوح: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ [هود: ٢٧]، وقال الكبراء من قوم صالح: ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥﴾

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣]؟ وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾ [الأنعام: ١٢٣]، وقال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال هاهنا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أي: نبي أو رسول ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾، وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة.

قال قتادة: هم جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر. ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ أي: لا نؤمن به ولا نتبعه.

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة إخبار الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾؟

ج: فائدة ذلك - والعلم عند الله - مواساة رسول الله ﷺ وتثبيته وتصبيره، فإنه إذا علم أن إخوانه من المرسلين لقوا مثل الذي لقيَ، وابتلوا بمثل الذي ابتلي به حمله ذلك علىٰ الصبر، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ

أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: حاصل معنى هذه الآيات - والعلم عند الله - أن أهل الكفر لما بلغتهم رسالة الإسلام ودعاهم رسول الله ﷺ إلىٰ التوحيد، وذكَّرهم باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب قالوا مجيبين أهل الإسلام نحن أكثر منكم أموالاً وأكثر منكم أولادًا، أموالنا أكثر من أموالكم، وأولادنا أكثر من أولادكم، وهذا دليلٌ علىٰ إكرام الله لنا، فلو علم أننا لا نستحق ذلك ما أعطانا إياه ولا تفضَّل علينا به إنما أعطانا إياه لكرامتنا عنده، وكما أنه رضي عنا بدليل إعطائه لنا هذا المال والولد فلن يعذبنا، هكذا فهموا!!

وهكذا ظنوا! وهكذا رأوا! وأخطأوا كل ذلك، فقل لهم يا رسول الله إن ربي ﷻ يوسع علىٰ من يشاء من عباده في الرزق والولد ويضيق علىٰ من يشاء، وكل ذلك اختبارٌ وابتلاء كما قال ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وكما قال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨]. ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ما هم فيه من النعيم ابتلاءٌ من الله واختبار، وقلَّ منهم من يعلم ذلك ويتفطن له كما قال سليمان عليه السلام لما رأى عرش ملكة سبأ مستقرًّا عنده: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ ...﴾ [النمل: ٤٠].

ثم قال تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالشيء الذي يقربكم عند الله منزلة ويقربكم منه تقريبًا أكثر إلا من آمن وعمل صالحًا واتقى الله ﷻ فيما أعطاه من المال فأنفقه في مرضاة الله ﷻ وفي طاعته فأولئك لهم جزاء أعمالهم

أضعاف ما عملوه، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ثم هم يوم القيامة في الغرفات غرف الجنان، آمنون من الحزن والغم والخوف وزوال النعم وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا لأنبيائنا ورسلنا: نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن في الآخرة بمعذبين لأن الله لو لم يكن راضيًا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا، وزلفة لنا عنده، يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ من المعاش والرياش في الدنيا ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ من خلقه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه، ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء، وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارًا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت لمن قدر عليه.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ...﴾ الآية، قال: قالوا: نحن أكثر أموالًا وأولادًا، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، قال: وهذا قول المشركين لرسول الله ﷺ وأصحابه، قالوا: لو لم يكن الله عنا راضيًا لم يعطنا هذا، كما قال قارون: لولا أن الله رضي بي

وبحالي ما أعطاني هذا، قال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ...﴾ [القصص: ٧٨] إلى آخر الآية.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول جلَّ ثناؤه: وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم، بالتي تقربكم منا قربة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، وإن الكافر قد يعطى المال، وربما حبس عن المؤمن.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾ ولم يقل باللتين، وقد ذكر الأموال والأولاد، وهما نوعان مختلفان، لأنه ذكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي، ولو قال قائل: أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله، وكان ذلك كقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

ولم يقل: راضيان.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فإنه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زلفى دون أهل الكفر بالله.

MostafaAdawy.com

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قول الله: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ قال: لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين، وقرأ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فالحسنى: الجنة، والزيادة: ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به، كما حاسب الآخرين، فمن حملها على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه، وقد يحتمل أن يكون «من» في موضع رفع، فيكون كأنه قيل: وما هو إلا من آمن وعمل صالحًا.

وقوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ يقول: فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب، بالواحدة عشر.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ قال: بأعمالهم الواحد عشر، وفي سبيل الله بالواحد سبعمائة.

وقوله: ﴿فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يقول: وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى إخبارًا عن المترفين المكذبين: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك. قال الله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقال: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾

وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

[المدثر: ١١-١٧]

وقد أخبر الله عن صاحب تينك الجنتين: أنه كان ذا مال وولد وثمر، ثم لم تُغن عنه شيئًا، بل سُلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة؛ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ أي: يعطي المال لمن يحب ومَنْ لا يحب، فيفقر مَنْ يشاء ويغني مَنْ يشاء، وله الحكمة التامة البالغة، والحجة الدامغة القاطعة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ثم قال: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ أي: ليست هذه دليلًا على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم.

وأورد رَحِمَهُ اللَّهُ ما أخرجه أحمد ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ أي: إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي: تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي: في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يُحْذَر منه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾ قال قتادة: أي أغنياؤها ورؤساؤها وجبابرتها وقادة الشر للرسل: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

(١) أحمد (٢/ ٥٣٩)، ومسلم (٢٥٦٤).

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ أي فضلنا عليكم بالأموال والأولاد ولو لم يكن ربكم راضيًا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)﴾ لأن من أحسن إليه فلا يعذبه فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي يوسعه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي يقتر أي إن الله هو الذي يفاضل بين عباده في الأرزاق امتحانًا لهم فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الآخرة فلا تظنوا أموالكم وأولادكم تغني عنكم غدًا شيئًا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ هذا لأنهم لا يتأملون ثم قال تأكيدًا: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ قال مجاهد: أي قربى والزلفة القربة وقال الأخفش: أي إزلافًا وهو اسم المصدر فيكون موضع قربى نصبًا كأنه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبًا وزعم الفراء أن التي تكون للأموال والأولاد جميعًا وله قول آخر وهو مذهب أبي إسحاق الزجاج يكون المعنى: وما أموالكم بالتي تقربكم عندنا ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه وأنشد الفراء:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راضي والرأي مختلف

ويجوز في غير القرآن: باللتين وباللاتي وباللواتي وباللذين وبالذين للأولاد خاصة أي لا تزيد كم الأموال عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبًا ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ قال سعيد بن جبير: المعنى إلا من آمن وعمل صالحًا فلن يضره ماله وولده في الدنيا وروى ليث عن طاوس أنه كان يقول: اللهم ارزقني الإيمان والعمل وجنبني المال والولد فإني سمعت فيما أوحيت

﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾

قلت : قول طاوس فيه نظر والمعنى والله أعلم : جنبني المال والولد المطغيين أواللذين لا خير فيهما فأما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى هذا في آل عمران ومريم والفرقان ومن في موضع نصب على الاستثناء المنقطع أي لكن من آمن وعمل صالحًا فإيمانه وعمله يقربانه مني.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ ﴾ يعني قوله : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾ [الأنعام : ١٦٠] فالضعف الزيادة أي لهم جزاء التضعيف وهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول وقيل : لهم جزاء الأضعاف فالضعف في معنى الجمع وإضافة الضعف إلى الجزاء كإضافة الشيء إلى نفسه نحو : حق اليقين وصلاة الأولى أي لهم الجزاء المضعف للواحد عشرة إلى ما يريد الله من الزيادة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ ءَامِنُونَ ٣٧ ﴾ أي من العذاب والموت والأسقام والأحزان.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وكما أن أهل الإيمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف بما عملوا، ففي المقابل فهؤلاء الذين يسعون بجدٍ واجتهادٍ

MOSTAFAALDIBY.COM

منهم لإبطال آياتنا ووصفها بغير ما هو لائق بها فيصفونها بأنها سحر وكهانة وأساطيرٌ ودجل، كل ذلك لصرف الناس عنها ويظنون أننا نعجز عنهم فهؤلاء محضرون مجموعون جميعًا في العذاب عذاب النار يوم القيامة والعياذ بالله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: والذين يعملون في آياتنا، يعني: في حججنا وآي كتابنا، يبتغون إبطاله ويريدون إطفاء نوره معاونين، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا ﴿أُولَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يعني: في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: يسعون في الصد عن سبيل الله، واتباع الرسل والتصديق بآياته، ﴿أُولَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي: جميعهم مَجْزيون بأعمالهم فيها بحسبهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ في إبطال أدلتنا وحجتنا وكتابنا ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ معاندين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ﴿أُولَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي في جهنم تحضرهم الزبانية فيها.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ

MOSTAFAADW.COM

لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء الذين ظنوا أن الله ﷻ أغناهم من فضله لكرامتهم عنده ولفضلهم عنده ولمنزلتهم عنده، قل لهم مُكررًا مؤكدًا إن ربي ﷻ يوسع الأرزاق على من يشاء ويضيق فيها على من يشاء اختبارًا وابتلاءً وامتحانًا ليعلم الشكور من الكفور، والبار التقي من الفاجر الشقي، ومهما أنفقتم يا أهل الإيمان من مالٍ في طاعة الله ومرضاته فأيقنوا بأن الله ﷻ يخلف عليكم ما هو خير، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل محنة واختبارًا ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم.

وأورد بإسناد يُحسَّن عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ قال: ما كان في غير إسراف ولا تقتير.

وقال الطبري: وقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ يقول: وهو خير من قيل إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ﴾ كرر تأكيدًا.

Mostafa Darwish.com

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد إن الله يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تغتروا بالأموال والأولاد؛ بل أنفقوها في طاعة الله فإن ما أنفقتم في طاعة الله فهو يخلفه وفيه إضمار أي فهو يخلفه عليكم يقال : أخلف له وأخلف عليه أي يعطيكم خلفه وبدله وذلك البدل إما في الدنيا وإما في الآخرة وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خلفًا وأَعْطِ مُمْسِكًا تلفًا**»[1] وفيه أيضًا: عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : إن الله قال لي : «**أنفق أنفق عليك**»[2] الحديث وهذه إشارة إلى الخلف في الدنيا بمثل المنفق فيها إذا كانت النفقة في طاعة الله وقد لا يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعاء كما تقدم سواء في الإجابة أو التكفير أو الادخار والادخار هاهنا مثله في الأجر.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ لما كان يقال في الإنسان : إنه يرزق عياله والأمير جنده قال : وهو خير الرازقين والرازق من الخلق يرزق لكن ذلك من مال يملك عليهم ثم ينقطع والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ولا تتناهى ومن أخرج من عدم إلى الوجود فهو الرازق على الحقيقة كما قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١، ٢) كلاهما صحيح، وسيأتيان قريبًا.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي: بحسب مَا لَه في ذلك من الحكمة، يبسط على هذا من المال كثيرًا، ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدًّا، وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره، كما قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢١] أي: كما هم متفاوتون في الدنيا: هذا فقير مدقع، وهذا غني مُوَسَّع عليه، فكذلك هم في الآخرة: هذا في الغُرفات في أعلى الدرجات، وهذا في الغَمرَات في أسفل الدركات. وأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: «**قد أفلح مَنْ أسلم ورُزِق كَفَافا، وقَنَّعه الله بما آتاه**». رواه مسلم من حديث ابن عَمْرو[(١)].

وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: يقول الله تعالى: «**أنْفِق أُنْفِق عليك**»[(٢)]. وفي الحديث: «**أن ملكين يَصيحان كل يوم، يقول أحدهما: اللهم أعط مُمْسِكا تَلَفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقا خَلَفًا**»[(٣)].

❁ ❁ ❁

س: هل كل شيء ينفقه الشخص يخلف الله به عليه؟

ج: ليس كل من يُنفق يوعد بأن يخلف الله عليه، فالذي ينفق في معصية الله

---

(١) مسلم (١٠٥٤).

(٢) البخاري (٤٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

(٣) البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) بنحوه.

MostafaLaw.com

ومساخطه لا يدخل في هذا الوعد، وإنما المراد ما يتقرب به إلى الله وكذا عموم أعمال الخير والبر، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: أما ما أنفق في معصية فلا خلاف أنه غير مثاب عليه ولا مخلوف له وأما البنيان فما كان منه ضروريًّا يكن الإنسان ويحفظه فذلك مخلوف عليه ومأجور ببنيانه وكذلك كحفظ بنيته وستر عورته.

❁ ❁ ❁

بعض الوارد في الحث على الإنفاق

س: اذكر بعض الأدلة الواردة في الحث على الإنفاق والتي تبين أن الله عَزَّوَجَلَّ يُخلف على المنفق.

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل:

MOSTAFALABIB.COM

٥-٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢١].

والآيات في هذا الصدد كثيرة جدًّا.

أما الأحاديث فمنها ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك**»(١).

وما أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا**».

وأخرج البخاري(٣) ومسلم من حديث أسماء رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ما لي مال إلا ما أدخل على الزبير فأتصدق؟ قال: «**تصدقي ولا تُوعي فيُوعي عليك**».

وأخرجا(٤) أيضًا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار**».

وأخرج البخاري(٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:

(١) البخاري (مع الفتح ٩/ ٤٩٧)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) البخاري (مع الفتح ٣/ ٣٠٤)، ومسلم (مع النووي ٧/ ٩٥).
(٣) البخاري (مع الفتح ٥/ ٢١٧)، ومسلم (٧/ ١١٩).
(٤) البخاري (٩/ ٧٣)، ومسلم (٦/ ٩٧).
(٥) البخاري (٩/ ٧٢).

MOSTAFAALAWY.COM

«لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يملكه في الحق فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل».

وما أخرجه مسلم[١] من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك، وإن تمسكه شرٌّ لك ولا تُلام على كفافٍ، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى».

وأخرج البخاري[٢] من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول: كنت عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ: «أما قطع السبيل: فإنه لا يأتي عليك إلا قليل، حتى تخرج العير من مكة بغير خفير، وأما العيلة: فإن الساعة لا تقوم، حتى يطوف أحدكم بصدقته، لا يجد من يقبلها منه، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالا؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولا؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة».

والباب به أحاديث كثيرة جدًّا.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم (١٠٣٦).

(٢) البخاري (١٤١٣).

قال الله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ [سبأ: ٤٠-٤٥]

MOSTAFAADLY.COM

س: وضح معنى ما يلي:

﴿يَحْشُرُهُمْ -سُبْحَانَكَ -وَلِيُّنَا -بَيِّنَتٍ -يَصُدَّكُمْ -إِفْكٌ مُّفْتَرًى -مِعْشَارَ -نَكِيرِ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَحْشُرُهُمْ﴾	يجمعهم (يوم القيامة)
﴿سُبْحَانَكَ﴾	تنزهت عن كل ما لا يليق بك وتنزهت عن الشريك والمثيل والند والصاحبة والولد
﴿وَلِيُّنَا﴾	ناصرنا - متولي أمرنا
﴿بَيِّنَتٍ﴾	واضحات أنها حق، وأنها من عند الله
﴿يَصُدَّكُمْ﴾	يصرفكم
﴿إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾	كذبٌ مُختلق
﴿مِعْشَارَ﴾	عشر
﴿نَكِيرِ﴾	إنكاري وتعذيبي لهم

❁ ❁ ❁

س: ما وجه السؤال الذي وجه للملائكة في قوله تعالى لهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾؟ وهل له نظائر في الكتاب العزيز؟

ج: هذا السؤال على سبيل التوبيخ لمن عبدوا الملائكة، له نظير في كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن

MOSTAFALADAWY.COM

دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ...﴾ [المائدة: ١١٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ...﴾ [الفرقان: ١٧-١٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

ج: واذكر يا رسول الله يوم يحشر الله الخلق جميعًا أولهم وآخرهم ثم يوجَّه خطاب للملائكة، وسؤال لهم، سؤال على سبيل التوبيخ لمن عبدوا الملائكة فيقول تعالى لملائكته أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون فيجيبون قائلين تنزهت يا ربنا عن أن يكون لك شريك في الملك، تنزهت يا ربنا عن كل ما يصفك به الواصفون المشركون، أنت يا ربنا متولي أمرنا رضينا بك وليًّا ونصيرًا، لقد كان هؤلاء القوم يعبدون الجن أكثرهم بهم مصدقون، مصدقون الجن فيما تخبرهم به الجن، والله أعلم.

وبنحو ذلك قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعًا، ثم نقول للملائكة: أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؟ فتتبرأ منهم الملائكة ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ ربنا؛ تنزيها لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد

MostafaBadr.com

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ﴾ لا نتخذ وليًّا دونك ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾ استفهام كقوله لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقوله: ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ يقول: أكثرهم بالجن مصدقون، يزعمون أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾﴾؟ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ كما قال في سورة الفرقان: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾؟ [الفرقان: ١٧]، وكما يقول لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]. وهكذا تقول الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي: تعاليتَ وتقدست عن أن يكون معك إله ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ﴾ أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ يعنون: الشياطين؛ لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم، ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾، كما قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هذا متصل بقوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ﴾ [سبأ: ٣١] أي لو تراهم في هذه الحالة لرأيت أمرًا فظيعًا والخطاب للنبي ﷺ والمراد هو وأمته ثم قال : ولو تراهم أيضًا يوم نحشرهم جميعا العابدين والمعبودين أي نجمعهم للحساب ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن قتادة : هذا استفهام كقوله ﷻ لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة : ١١٦] قال النحاس : فالمعنى أن الملائكة صلوات الله عليهم إذا كذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم فهو استفهام توبيخ للعابدين ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي تنزيها لك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي أنت ربنا الذي نتولاه ونطيعه ونعبده ونخلص في العبادة له ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي يطيعون إبليس وأعوانه وفي التفاسير : أن حيًّا يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله وهو قوله : ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات : ١٥٨].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – فاليوم لا يملك بعضكم لبعض كشف ضرٍّ أو جلب نفعٍ، لا تملك الملائكة لأهل الشرك دفع ضرٍّ أو جلب نفعٍ، وكذا لا يملك الكفار بعضهم لبعض جلب نفع أو دفع ضرٍّ، ونقول لأهل الشرك: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون، فقد كانوا في الدنيا ينكرون البعث

MOSTAFAALDIWY.COM

وينكرون الثواب والعقاب والجنَّة والنار، وبنحو هذا قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فاليوم لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعًا ينفعونكم به، ولا ضرًّا ينالونكم به أو تنالونهم به ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها، وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فقد وردتموها.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي: لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكُرَبكم، اليوم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًّا، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ - وهم المشركون- ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك، تقريعًا وتوبيخًا.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا﴾ أي شفاعة ونجاة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أي عذابًا وهلاكًا وقيل: أي لا تملك الملائكة دفع ضر عن عابديهم فحذف المضاف ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ يجوز أن يقول الله لهم أو الملائكة: ذوقوا.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ

MOSTAFABARRY.com

أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وإذا تتلى على أهل الكفر هؤلاء آيات الله ﷻ التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ واضحات ظاهرات أنها من عند الله، وصفوا رسول الله ﷺ بما لا يليق به من الأوصاف، ووصفوا القرآن كذلك بما لا يليق به، فقالوا عن رسول الله ﷺ ما هذا إلا رجل يريد أن يصرفكم عما وجدتم عليه أسلافكم من آبائكم وأجدادكم وغيرهم من أسلافكم، وقالوا: ما هذا إلا كذبٌ مختلق، وقال أهل الكفر للقرآن لما تُلي عليهم ما هذا إلا سحرٌ مظهرٌ لمن تأمله أن قائله ساحر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات، يقول: واضحات أنهن حق من عندنا ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ يقول: قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمدًا، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباوكم من الأوثان، ويغير دينكم ودين آبائكم ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد، يعنون القرآن، إلا إفك، يقول: إلا كذب مفترى: يقول: مختلق متخرص ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ يقول جلَّ ثناؤه: وقال الكفار للحق، يعني محمدًا ﷺ، لما جاءهم، يعني: لما بعثه الله نبيًّا: هذا سحر مبين، يقول: ما هذا إلا سحر مبين، يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر.

Nostrapdf.com

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولـه تعـالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ يعنـي القـرآن ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ﴿يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ أي أسلافكم من الآلهة التي كانوا يعبدونها ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ ﴾ يعنون القرآن أي ما هو إلا كذب مختلق ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ فتارة قالوا سحر وتارة قالوا إفك ويحتمل أن يكون منهم من قال سحر ومنهم من قال إفك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب؛ لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غَضَّةً طرية من لسان رسوله ﷺ، ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ ، يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل -عليهم وعلى آبائهم لعائن الله- ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ ﴾ يعنـون: القـرآن، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾.

ج: هذا - والله أعلم - مع ما يحمله ظاهره من أن الله ﷻ ما أرسل إلى العرب من نذير من قبل رسول الله ﷺ، وما آتاهم من كتاب منزلٍ من عنده،

MostafaDiyz.com

مع هذا الظاهر فالآية أيضًا تحمل توبيخًا لهم، حاصله كيف تدعون أن هذا القرآن إفك مفترى، وكيف تدعونه أنه سحر مبين، وكيف تنكرون رسالة رسول الله ﷺ، وما عندكم كتب شاهدة بذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد ﷺ لما جاءهم بآياتنا: هذا سحر مبين، بما يقولون من ذلك كتبًا يدرسونها، يقول: يقرءونها.

أورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ ﴾ أي: يقرءونها.

وقال الطبري:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤﴾ يقول: وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبي ينذرهم بأسنا عليه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ٤٤﴾ ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيا قبل محمد ﷺ.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ ﴾ أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًّا قبل محمد ﷺ، وقد كانوا يَوَدّون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكنا أهدى من غيرنا، فلما مَنَّ الله عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه.

Nosfaraby.com

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ أي: لم يقرؤوا في كتاب أوتوه بطلان ما جئت به ولا سمعوه من رسول بعث إليهم كما قال: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزخرف: ٢١] فليس لتكذيبهم وجه يتشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتاب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALADWY.COM

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾.

ج: أولًا قوله تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن مشركي مكة ما بلغوا عشر ما آتى الله ﷻ الأمم المتقدمة التي أهلكها وأبادها من القوم والبطش، فقد كانت الأمم المتقدمة أشد منهم بطشًا وأكثر منهم عددًا كالفراعنة وقوم عادٍ وثمود وغير هؤلاء ومع ذلك فقد أهلكهم الله وأبادهم مع كثرتهم وشدتهم وقوتهم.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا﴾ [ق: ٣٦].

والوجه الثاني: أن الأمم التي أهلكها الله لم تُعط مثل هؤلاء المشركين من البينات والحجج، ولم يكن كتابها مثل القرآن، فالقرآن أوضح بيان وأعظم حجة، ومع ذلك قد أهلك الله الأمم المتقدمة المكذبة، فهؤلاء الذين كذبوا بالقرآن أجدر بأن يعذبوا فقد عُذب من هذا أدنى منهم ممن جاءتهم حُجج لكنها دون القرآن.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ أي: كيف كان إنكاري عليهم لما كفروا لقد كان أخذًا شديدًا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ يقول: وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾ يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد

MostafaLabw.com

عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك من النعم.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾ يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾ قال: ما بلغ هؤلاء، أمة محمد ﷺ، معشار ما آتينا الذين من قبلهم، وما أعطيناهم من الدنيا، وبسطنا عليهم ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ يقول: فكذبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالتي، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم، فانظر يا محمد كيف كان نكير، يقول: كيف كان تغييري بهم وعقوبتي.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ أي: من الأمم، ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾ قال ابن عباس: أي من القوة في الدنيا. وكذلك قال قتادة، والسدّي، وابن زيد. كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ [الأحقاف: ٢٦]، ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ ﴾ [غافر: ٨٢]، أي: وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله؛ ولهذا قال: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ أي: فكيف كان نكالي وعقابي وانتصاري لرسلي؟

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله الحق: ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ أي كذب

قبلهم أقوام كانوا أشد من هؤلاء بطشًا وأكثر أموالًا وأولادًا وأوسع عيشًا فأهلكتهم كثمود وعاد ﴿وَمَا بَلَغُوا۟ ﴾ أي ما بلغ أهل مكة ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ تلك الأمم والمعشار والعشر سواء لغتان وقيل : المعشار عشر العشر الجوهري : ومعشار الشيء عشره ولا يقولون هذا في شيء سوى العشر وقيل : ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم حكاه النقاش وقيل : ما أعطى الله تعالى من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان قال ابن عباس : فليس أمة أعلم من أمته ولا كتاب أبين من كتابه وقيل : المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءًا من ألف جزء الماوردي : وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ أي عقابي في الأمم وفيه محذوف وتقديره : فأهلكناهم فكيف كان نكيري.

❁ ❁ ❁

MOSTAFAALAWY.COM

قال الله تعالى:

﴿ ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ٤٧ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٤٨ قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ٤٩ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٢ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبٖ ٥٤ ﴾ [سبأ: ٤٦-٥٤]

MOSTAFALAW.COM

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿أَعِظُكُم - بِوَٰحِدَةٍ - مَثْنَىٰ - وَفُرَٰدَىٰ - جِنَّةٌ - نَذِيرٌ لَّكُم - بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ - شَهِيدٌ - يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ - عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ - يُبْدِئُ - ٱلْبَٰطِلُ - وَمَا يُعِيدُ - فَزِعُوا - فَلَا فَوْتَ - وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ - ٱلتَّنَاوُشُ - وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ - بِأَشْيَاعِهِم - مُّرِيبٍ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
(أَعِظُكُم)	أُذكركم - أحذركم - آمركم
(بِوَٰحِدَةٍ)	بمسألة واحدة - بخصلة واحدة - بكلمة واحدة
﴿مَثْنَىٰ﴾	اثنين معًا
﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾	واحدٌ بمفرده
﴿جِنَّةٌ﴾	جنون
﴿نَذِيرٌ لَّكُم﴾	منذرٌ لكم - مُحذِّر لكم
﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾	قبل عذاب شديد، وهو عذاب يوم القيامة
﴿شَهِيدٌ﴾	عالمٌ ومطلع ورقيب وشاهد
﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾	يُنزل القرآن - يؤيد بالحجج
﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾	عظيم العلم بكل شيء يغيب عن الخلق وبكل ما هو آت
﴿يُبْدِئُ﴾	يُنشئ - يخلق خلقًا

MOSTAFALADY.COM

﴿ٱلْبَـٰطِلُ﴾	الشيطان - كل ما هو ضد الحق
﴿وَمَا يُعِيدُ﴾	ما يعيد الخلق أحياء بعد موتهم - ما يُعيد أهل الباطل مقولةً بعد مجيء الحق الواضح
﴿فَزِعُوا۟﴾	أصابهم الفزع الشديد مما حلَّ بهم
﴿فَلَا فَوْتَ﴾	فلا مهرب - فلا نجاة
﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾	جاءهم العذاب - وأخذهم العذاب من مكان قريب، قيل: في الدنيا. وقيل: يوم بدر، وقيل لأول وهلة. وقيل: من تحت أقدامهم.
﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾	التناول، والمراد تناول الإيمان في الآخرة، وقيل: تناول الرجوع للدنيا كي يؤمنوا
﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾	يتكلمون بما لا علم له به
﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾	بأمثالهم من أهل الكفر السابقين
﴿مُّرِيبٍ﴾	مُحيِّر

❁ ❁ ❁

س: ما فائدة القيام مثنى وفرادى؟

ج: هذا - والله أعلم - أدعى لمزيدٍ من التفكر والإنصاف.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقيل: إنما قال: ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ لأن الذهن حجة الله على العباد وهو

MOSTAFAADEL.COM

العقل فأوفرهم عقلًا أوفرهم حظًّا من الله فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة وإذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد والله أعلم.

❁ ❁ ❁

س: ما المراد بالقيام في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾؟

ج: المراد أن تقوموا بالتناصح لوجه الله ولطلب الحق وليس المراد بالقيام الذي هو ضد الجلوس.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا القيام معناه القيام إلى طلب الحق لا القيام الذي هو ضد القعود وهو كما يقال: قام فلان بأمر كذا؟ أي لوجه الله والتقرب إليه وكما قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٢٧].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – قل يا رسول الله لأهل الشرك هؤلاء الذين وصفوك بالجنون، وكذبوك قل لهم: إنما أُذكركم بواحدة، وأطلب منكم مسألة واحدة، وهي أن يقوم كل اثنين منكم مع بعضهما بمعزل عن الآخرين، ويتناقش الاثنان ويتواعدان قبل المناقشة أن يصدقا في حديثهما معًا إذا تحدثا

MOSTAFALAWY.COM

ثم يقول كل واحدٍ منهما للآخر بعد تفكرٍ ووعدٍ بصدق الحديث، ما تقول في محمد ﷺ؟! فسيكون الجواب قطعًا إنه لصادقٌ وأمين ليس بمفتر ولا كذاب.

ويؤكد الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ أي: ما هو إلا مُحذر ومنذرٌ قبل حلول العذاب بكم يوم القيامة. هذا وجهٌ وثمَّ وجهٌ آخر في تفسير مطلع الآية الكريمة حاصله قل إنما أعظكم بمسألة واحدة، وهي طاعة الله ﷻ.

وقيل: قل إنما آمركم باتباع القرآن، وقيل: قل إنما آمركم بكلمة واحدة وهي كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

فيكون قوله: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ...﴾ حاصل معناه.

قل إنما أُذكركم بمسألة واحدة وهي طاعة الله فقوموا فيما بينكم، ليقم منكم الاثنان معًا أو الواحد بمفرده ويتفكر في صدق رسول الله لما دعاه إلى طاعة الله هل هو صادق في دعواه أم لا، فسيجد قطعًا أنه ﷺ صادق بلا شك ولا ريب.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: إنما أعظكم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله.

وقوله: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ يقول: وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، ﴿وَفُرَادَىٰ﴾ فرادى فأن في موضع خفض ترجمة عن الواحدة.

MOSTAFAADAWY.COM

وقيل: إنما قيل: إنما أعظكم بواحدة، وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى. ﴿مَثْنَىٰ﴾ يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة: هل علمتم بمحمد ﷺ جنونًا قط؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فردًا هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم.

وقوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾ يقول: لأنه ليس بمجنون.

وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ يقول: ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها، وقوله: هو كناية اسم محمد ﷺ.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ﴾ تمم الحجة على المشركين؟ أي قل لهم يا محمد: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم﴾ أي أذكركم وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه. ﴿بِوَٰحِدَةٍ ۖ﴾ أي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك وإثبات الإله قال مجاهد: هي لا إله إلا الله وهذا قول ابن عباس والسدي. وعن مجاهد أيضًا: بطاعة الله، وقيل: بالقرآن؟ لأنه يجمع كل المواعظ وقيل: تقديره بخصلة واحدة، ثم بيَّنها بقوله: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ فتكون ﴿أَن﴾ في موضع خفض على البدل من واحدة أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ أي هي أن تقوموا. ومذهب الزجاج أنها في موضع نصب بمعنى لأن تقوموا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون: ﴿إِنَّمَآ

أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ ﴾ أي: إنما آمركم بواحدة، وهي: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾ أي: تقوموا قياما خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضًا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضا، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ ﴾ أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ ﴾.

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس قال: صَعِدَ النبي ﷺ الصفا ذات يوم، فقال: «**يا صباحاه**». فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصَبّحكم أو يُمَسّيكم، أما كنتم تصدقوني؟**» قالوا: بلى. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**». فقال أبو لهب: تبًّا لك! ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١][(١)].

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله لهؤلاء المشركين: إنني ما سألتكم على دعوتي إلى توحيد الله واتباعه والإيمان به وطاعته. ما سألتكم على ذلك أجرًا، ولا سألتكم أن تجعلوا إليَّ جُعلًا، وإن كان قد صدر في ذلك،

---

(١) البخاري (٤٨٠١).

MOSTAFAALDOW.COM

وما صدر فهذا الأجر لكم لا حاجة لي فيه، وهذا الجُعل لكم لا حاجة لي فيه إنما أطلب الأجر من الله ﷻ، وهو شهيد عليَّ ومطلع على ما أقوال، ومطلع على قلبي ونواياي.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذبيك، الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جعل على إنذاركم عذاب الله، وتخويفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله، والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به. وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهموني، وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي: جعل ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ يقول: لم أسألكم على الإسلام جعلا.

وقوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وتبليغكم رسالته، إلا على الله ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ يقول: والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي جعل على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي ذلك الجعل لكم إن كنت سألتكموه ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ أي رقيب وعالم وحاضر لأعمالي وأعمالكم لا يخفى عليه شيء

MostafaAbdy.com

فهو يجازي الجميع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا رسوله أن يقول للمشركين: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أريد منكم جُعلا ولا عَطاء على أداء رسالة الله إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ أي: عالم بجميع الأمور، بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم، وما أنتم عليه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾.

ج: هنا اتجاهان متقاربان في تفسير الآيتين الكريمتين:

أحدهما: قل يا رسول الله إن ربي ﷻ ينزل الوحي من السماء، وهو القرآن، فيقذف به على الباطل فيمحقه ويدفعه، وربي ﷻ علام الغيوب يعلم ما غاب وما ظهر وما هو كائن في النفوس فينزل ما يصلحها. وقل أيضًا يا رسول الله: جاء القرآن وما يُنشئ الشيطان شيئًا ولا يخلق خلقًا ولا يُعيد ميتًا حيًّا بعد موته.

الثاني: قل يا رسول الله إن الله ﷻ يأتي رسوله بالحجج البينات النيرات الواضحات وهو أعلم بعباده فيأتيهم بما يدفع به الباطل عنه، وقل يا رسول الله لقد جاءت الحجج من الله ولم يبق للباطل شيئًا ينشؤه ولا يعيده، والله

أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك: ﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد ﷺ ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ يقول: علام ما يغيب عن الأبصار، ولا مظهر لها، وما لم يكن مما هو كائن، وذلك من صفة الرب، غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر، وكذلك تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر، في أن أتبعوا النعت إعراب ما في الخبر، فقالوا: إن أباك يقوم الكريم، فرفع الكريم على ما وصفت، والنصب فيه جائز؛ لأنه نعت للأب، فيتبع إعرابه ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحي الله ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ يقول: وما ينشىء الباطل خلقًا، والباطل هو فيما فسره أهل التأويل: إبليس ﴿وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ يقول: ولا يعيده حيًّا بعد فنائه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: أي بالوحي ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ والباطل: إبليس، أي: ما يخلق إبليس أحدًا ولا يبعثه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ فقرأ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨] قال: يزهق الله الباطل، ويثبت الله الحق الذي دمغ به الباطل، يدمغ بالحق على الباطل، فيهلك الباطل ويثبت الحق، فذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾.

Nosrfarabi.com

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾، كقوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]. أي: يرسل الملك إلى مَنْ يشاء من عباده من أهل الأرض، وهو علام الغيوب، فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض.

وقوله: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ أي: جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحل، كقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يَطعنُ الصنم بسِيَة قَوْسِه، ويقرأ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة.

وزعم قتادة والسدي: أن المراد بالباطل ها هنا إبليس، إنه لا يخلق أحدا ولا يعيده، ولا يقدر على ذلك. وهذا وإن كان حقًّا ولكن ليس هو المراد هاهنا والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي يبين الحجة ويظهرها قال قتادة: بالحق بالوحي وعنه: الحق القرآن.

---

(١) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١).

MOSTAFAADAWY.COM

وقال القرطبي كذلك:

قوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ قال سعيد عن قتادة: يريد القرآن. النحاس: والتقدير جاء صاحب الحق أي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ قال قتادة: الشيطان أي ما يخلق الشيطان أحدًا ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ فـ(ما) نفي. ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى أي شيء؛ أي جاء الحق فأي شيء بقي للباطل حتى يعيده ويبدئه أي فلم يبق منه شيء كقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٨] أي لا ترى.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - قل يا رسول الله إن ابتعدت عن طريق الحق والصواب وحدت عنه فإن ضرر ذلك واقعٌ عليَّ ولاحق بي، وإن اهتديت إلى طريق الحق والصواب فذلك من فضل الله عليَّ بما أوحاه إليَّ من القرآن، فإن آيات هذا الكتاب العزيز بصائر تنير الطريق وترشد الضال.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۝٥٠﴾ فمعناه أن الله ﷻ سميع لكل الأقوال والحركات قريب يجيب دعوة الداعي كما قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا إنما تدعون سميعًا قريبًا**»(١).

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) انظر البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤)، والنسائي في الكبرى (١١٤٢٧).

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: إن ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق، إنما ضلالي عن الصواب على نفسي، يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضره، ﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ﴾ يقول: وإن استقمت على الحق ﴿فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ يقول: فبوحي الله الذي يوحي إلي، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠﴾ يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿أَضِلُّ﴾ أي إثم ضلالتي على نفسي ﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ من الحكمة والبيان ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ٥٠﴾ أي سميع ممن دعاه قريب الإجابة. وقيل وجه النظم : قل إن ربي يقذف بالحق ويبين الحجة، وضلال من ضل لا يبطل الحجة، ولو ضللت لأضررت بنفسي لا أنه يبطل حجة الله، وإذا اهتديت فذلك فضل الله إذ ثبتني على الحجة إنه سميع قريب.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٥١ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - ولو ترى إذا أصيب أهل الكفر بفزعٍ شديد يحلُّ

بهم، ولم يستطيعوا الهرب ولا النجاة، وقد أخذوا للعذاب من مكان قريب ليس بالبعيد لرأيت منظرًا بشعًا مخيفًا مزعجًا، ولرأيت حالتهم المزرية المخزية.

هذا، وقد ذكر أهل العلم في وقت هذا الفزع أقوالًا:

أحدها: أنه عندما يحيط بهم عذابٌ في الدنيا ويحلُّ بهم ويوقنوا أنهم هلكى ولا يستطيعون فرارًا، فعليه المكان القريب حاصل معناه أنه الدنيا، أي، وجاءهم العذاب الذي لا يستطيعون التخلص منه في الدنيا قبل الآخرة.

الثاني: أن ذلك كان في غزوة بدر حينما أحلَّ الله ﷻ بالمشركين بأسه ونقمته، ولم يستطيعوا فرارًا ولا هربًا، والمكان القريب الدنيا.

الثالث: أن ذلك عند الموت، وحلوله بهم.

الرابع: أن ذلك عند خسفٍ يصيبهم في الدنيا لا يستطيعون منه فرارًا ولا نجاة، والمكان القريب تحت أرجلهم.

الخامس: أن ذلك قبل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

السادس: أن ذلك يوم القيامة عند الخروج من القبور والمكان القريب المراد به (عند هؤلاء القائلين بذلك) هو أخذهم لأول وهلة.

وهذه أقوال بعض العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو ترى يا محمد إذ فزعوا.

واختلف أهل التأويل في المعنيين بهذه الآية؛ فقال بعضهم: عني بها هؤلاء

MOSTAFAADEL.COM

المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ قال: وعني بقوله: ﴿إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ عند نزول نقمة الله بهم في الدنيا.

وأورد بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ ...﴾ إلى آخر السورة، قال: هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية، قال: وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم، أهل بدر من المشركين.

قال الطبري:

وقال آخرون: عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض.

وقال آخرون: بل عنى بذلك المشركون إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة عن الحسن قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ قال: فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم.

وقال قتادة: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ حين عاينوا عذاب الله.

قال الطبري:

والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله ﷺ من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغبته، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خبرا عن حالهم

MOSTAFALAWY.COM

أشبه منه بأن يكون خبرًا لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ يقول: فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هربًا، وينجوا من عذابنا.

وقوله: ﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ يقول: وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب، لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: ولو ترى -يا محمد- إذ فَزِع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: فلا مفرَّ لهم، ولا وزر ولا ملجأ ﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ أي: لم يُمَكَّنُوا أن يُمنعوا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة.

والصحيح: أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلًا بذلك.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ ذكر أحوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه إلى معرفة الحق. والمعنى: لو ترى إذا فزعوا في الدنيا عند نزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم روي معناه عن ابن عباس. الحسن: هو فزعهم في القبور من الصيحة وعنه أن ذلك الفزع إنما هو إذا خرجوا من قبورهم، وقاله قتادة. وقال ابن مغفل: إذا عاينوا عقاب الله يوم القيامة. السدي: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا فرارًا ولا رجوعًا إلى التوبة. سعيد بن جبير: هو الجيش الذي

MOSTAFAADAWY.COM

يخسف بهم في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه فيفزعون فهذا هو فزعهم ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ فلا نجاة قاله ابن عباس. مجاهد: فلا مهرب ﴿وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ أي من القبور وقيل: من حيث كانوا، فهم من الله قريب لا يعزبون عنه ولا يفوتونه.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الكفر لما عاينوا العذاب ورأوه قالوا: آمنا بالقرآن وبرسول الله ﷺ، وآمنا بالله وحده لا شريك له، ولكن من أي وجهٍ يمكنهم الرجوع إلى الدنيا لتناول الإيمان، أنى لهم الرجعة إلى الدنيا كي يؤمنوا، فقد أصبحوا بعيدين عن الدنيا فقد انقضت وذهبت.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله: آمنا به، يعني: آمنا بالله وبكتابه ورسوله.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ عند ذلك، يعني: حين عاينوا عذاب الله.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بعد القتل، وقوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ يقول: ومن أي وجه لهم التناوش.

MOSTAFA ADLY.COM

وأورد الطبري قراءتين في قوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ هي ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾، و«التناؤش»، وقال:

وقالوا آمنا بالله، في حين لا ينفعهم قيل ذلك، فقال الله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ أي: وأين لهم التوبة والرجعة، أي: قد بعدت عنهم، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها، وإنما وصفت ذلك الموضع بالبعيد، لأنهم قالوا ذلك في القيامة فقال الله: أنى لهم بالتوبة المقبولة، والتوبة المقبولة إنما كانت في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدًا من الآخرة، فبأي القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك.

وأورد الطبري بإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ قال: هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم، وقرأ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ ...﴾ الآية، قال: التناوش: التناول، وأنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها في الدنيا، قال: وهذا بعد الموت في الآخرة.

قال: وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بعد القتل ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ وقرأ ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾ [النساء: ١٨] قال: ليس لهم توبة، وقال: عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة، فيقبلها الله منهم، فأبوا، أو يعرضون التوبة بعد الموت، قال: فهم يعرضونها في الآخرة خمس عرضات، فيأبى الله أن يقبلها منهم، قال: والتائب عند الموت ليست له توبة ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ...﴾ [الأنعام: ٢٧] الآية، وقرأ ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

MostafaDarwish.com

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: يوم القيامة يقولون: آمنا بالله وبكتبه ورسله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ أي: وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد.

قال مجاهد: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾، قال: التناول لذلك، وقال الزهري: التناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة، وقد انقطعت عنهم الدنيا، وقال الحسن البصري: أما نهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد.

وقال ابن عباس: طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه، وليس بحين رجعة ولا توبة.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾.

ج: الظاهر - والله أعلم - أن معنى ذلك أن هؤلاء الذين قالوا لما عاينوا العذاب: آمنا به، قد كفروا بالله ﷻ وبكتابه الذي أنزله على رسوله ﷺ، وكانوا في الدنيا يقذفون بالغيب، أي يرمون رسول الله ﷺ بناء علىٰ الظنون، فيقولون

MOSTAFAADAWY.COM

ساحر، ويقولون شاعر، ويقولون مجنون، كل ذلك بلا تدقيق منهم فيما يقولونه كالذي يرجم بالغيب، وكالذي يرمي من مكان بعيد ولا يصيب برميه شيئًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم، ومعاينتهم إياه من الإقالة له، وذلك الإيمان بالله وبمحمد ﷺ وبما جاءهم به من عند الله.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ : أي بالإيمان في الدنيا.

وقوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدًا من مكان بعيد، يعني أنهم يرجمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ أي: يرجمون بالظن، يقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: بالقرآن.

MOSTAFAALAWY.COM

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ أي: كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل؟

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾: قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: بالظن.

قلت: كما قال تعالى: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]، فتارة يقولون: شاعر. وتارة يقولون: كاهن. وتارة يقولون: ساحر. وتارة يقولون: مجنون. إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة، ويكذبون بالغيب والنشور والمعاد، ويقولون: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: ٣٢].

قال قتادة: يرجمون بالظن، لا بعث ولا جنة ولا نار.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي بالله ﷻ، وقيل: بمحمد ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحقه: هو يقذف ويرجم بالغيب ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ على جهة التمثيل لمن يرجم ولا يصيب، أي يرمون بالظن فيقولون: لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار رجمًا منهم بالظن قاله قتادة وقيل: يقذفون أي يرمون في القرآن فيقولون: سحر وشعر وأساطير الأولين. وقيل: في محمد فيقولون ساحر شاعر كاهن مجنون ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ أي إن الله بعد لهم أن يعلموا صدق محمد. وقيل: أراد البعد عن القلب، أي من مكان بعيد عن قلوبهم. وقرأ مجاهد (**ويقذفون بالغيب**) غير مسمى الفاعل أي يرمون به. وقيل: يقذف به إليهم من يغويهم ويضلهم.

❁ ❁ ❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - وجُعل حائلٌ بين أهل الكفر وبين ما يحبونه ويهوونه كما فُعل بأسلافهم ومن كان على طريقتهم من أهل الكفر من قبل إنهم كانوا في شكٍّ مُحيِّر.

أما ما الذي كان أهل الكفر يشتهونه، وحيل بينهم وبينه.

فلأهل العلم في تعيينه أقوال:

أحدهما: أنه الإيمان بالله، فقد كانوا يحبون الرجوع للإيمان.

الثاني: أنه طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ، وإجابة المرسلين.

الثالث: أنه طاعة الله مطلقًا.

الرابع: أنه أولادهم وزوجاتهم وبناتهم الذين كانوا يحبونهم في الدنيا.

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، فقالوا: آمنا به ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون، ولا سبيل لهم إليه.

وأورد بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا.

وقال آخرون: معنى ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد

MOSTAFALADAWY.COM

وزهرة الدنيا.

وأورد بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن زيد في قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قال: في الدنيا التي كانوا فيها والحياة.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأن القوم إنما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا، ما أخبر الله عنهم أنهم تمنوه، وقالوا آمنا به فقال الله: وأنى لهم تناوش ذلك من مكان بعيد، وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا. فإذا كان ذلك كذلك فلأن يكون قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ خبراً عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبراً عن غيره.

وقوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ يقول: فعلنا بهؤلاء المشركين؛ فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعاينتهم بأسه، كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم؛ فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم.

والأشياع: جمع شيع، وشيع: جمع شيعة؛ فأشياع جمع الجمع.

وأورد الطبري بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا، كانوا إذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم إيمان.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الإيمان؛ إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك، من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، أن الله مهلكهم، ومحل

بهم عقوبته في عاجل الدنيا، وآجل الآخرة قبل نزوله بهم، ﴿مُّرِيبٍ﴾ يقول: موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه، من قولهم: قد أراب الرجل إذا أتى ريبة وركب فاحشة، كما قال الراجز:

يا قوم مالي وأبا ذؤيب؟ كنت إذا أتوته من غيب

يشم عطفي ويبز ثوبي كأنما أربته بريب

يقول: كأنما أتيت إليه ريبة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ أي: كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل، لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم، ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي: كانوا في الدنيا في شكٍّ وريبة، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب.

قال قتادة: إياكم والشك والريبة. فإنه من مات على شك بُعِثَ عليه، ومن مات على يقين بعث عليه.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قيل: حيل بينهم وبين النجاة من العذاب. وقيل: حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من أموالهم وأهليهم. ومذهب قتادة أن المعنى أنهم كانوا يشتهون لما رأوا العذاب أن يقبل منهم أن يطيعوا الله جل وعز وينتهوا إلى ما يأمرهم به الله فحيل بينهم وبين ذلك؛ لأن

MOSTAFAADEL.COM

ذلك إنما كان في الدنيا وقد زالت في ذلك الوقت. والأصل «حول» فقلبت حركة الواو على الحاء فانقلبت ياء ثم حذفت حركتها لثقلها ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ الأشياع جمع شيع، وشيع جمعه شيعة ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي بمن مضى من القرون السالفة الكافرة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ﴾ أي من أمر الرسل والبعث والجنة والنار. وقيل : في الدين والتوحيد والمعنى واحد ﴿مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ أي يسترابه يقال : أراب الرجل أي صار ذا ريبة فهو مريب. ومن قال هو من الريب الذي هو الشك والتهمة قال: يقال شك مريب؟ كما يقال: عجب عجيب وشعر شاعر في التأكيد.

تم بحمد الله تفسير سورة سبأ

MOSTAFAALADW.COM